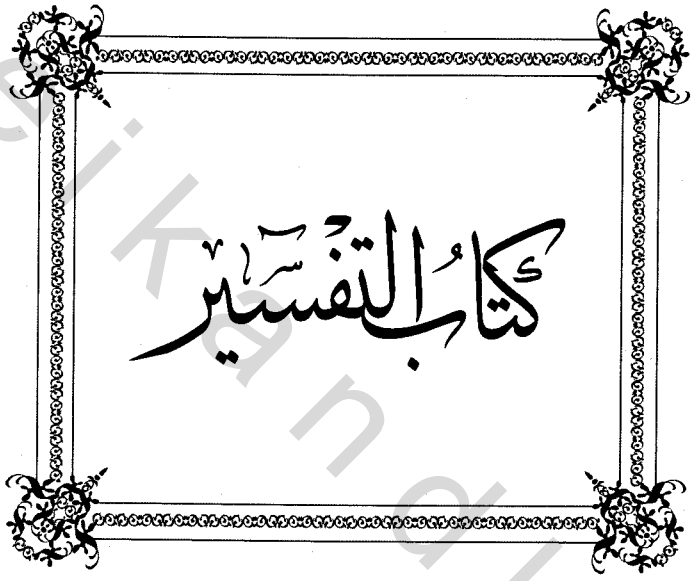

obeikandl.com

obeikandl.com

❁ الاستعاذة ❁

(٨٥٤) يقول السائل ع. ا: يرى البعض من مدرسي القرآن الكريم أن الاستعاذة -وهي: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه- خاصة بالصلاة، وليس عند قراءة القرآن الكريم، هل هذا صحيح فضيلة الشيخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ليس بصحيح، إذا استعاذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم، وزاد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه، فإن ذلك لا بأس به، لأن الاستعاذة في الصلاة استعاذة قبل القراءة، فهي داخلة في امتثال أمر الله بقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، ومع هذا ورد عن النبي ﷺ أنه يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ**»[1]، فإذا قالها الإنسان فلا حرج عليه، وإذا اقتصر على الجزء الأول منها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كفى.

❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، بَابُ مَنْ رَأَى الِاسْتِفْتَاحَ بِسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، رقم (٧٧٥)، الترمذي: كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ، رقم (٢٤٢).

❁ سورة الفاتحة ❁

(٨٥٥) يقول السائل: هل بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أنها ليست من الفاتحة، لكنها آية من كتاب الله -عز وجل- مستقلة، ويدل لهذا الخبر والعمل.

أما الخبر: فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن الله تعالى قال: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] **قال: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، **قال: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] **قال: مجَّدني عبدي. وإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] **قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] **قال: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»**[(١)]، ولم يذكر البسملة.

وأما العمل: فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كان يجهر بالفاتحة في الصلاة الجهرية ولا يجهر بالبسملة، ولو كانت منها لجهر بها كما يجهر في بقية آياتها، فالصواب أنها ليست من الفاتحة ولا من غيرها، بل هي آية مستقلة تُبْتَدَأُ بها السور، إلا سورة براءة.

***

(٨٥٦) يقول السائل ع. ي. س: يوجد من الناس من يقول: إن سورة الفاتحة لا تكتمل آياتها سبعًا إلا بالبسملة، معتبرين البسملة أول آيات السورة، مستشهدين بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، ومن الناس من يقول: إن الفاتحة تَسْتَكْمِلُ سبع آيات بدون البسملة، وهذا القول الثاني هو الصواب، ودليل

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٤).

ذلك أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كان لا يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية، ويجهر بالحمد لله رب العالمين، ولو كانت البسملة من الفاتحة لجهر بها كسائر آياتها.

ودليل آخر: حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] **قال: حمدني عبدي. وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] **قال: أثنى علي عبدي. وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] **قال: مجَّدني عبدي. وإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] **قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين. وإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] **قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[1]، فبدأ بالحمد.

وأما كونها سبع آيات فليستمع هذا السائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] الأولى، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] الثانية، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] الثالثة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] الرابعة، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] الخامسة، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] السادسة، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] السابعة، وهذا لا شك أنه الأقرب، لأجل أن تتناسب الآيات في الطول، فإنك إذا جعلت: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] آيةً واحدة صارت طول بقية الآيات مرتين.

وأيضًا الفاتحة بين الله وبين العبد، منها ثلاث آيات حقٌّ لله، ثلاث آيات حقٌّ للآدمي، وآيةٌ بينهما: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] كل هذه حقٌّ لله، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

---

(١) تقدم تخريجه.

[الفاتحة: ٧] حقٌّ للإنسان، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] بينهما، وهي الآية الرابعة التي بين ثلاث وثلاث، فالتناسب ظاهر، فعلى هذا فلو قرأ الإنسان الفاتحة بدون البسملة فصلاته صحيحة، لأنه قرأ الفاتحة بآياتها السبع.

obeikandl.com

❁ سورتا البقرة وآل عمران ❁

(٨٥٧) يقول السائل: ما معنى أنَّ سورتي البقرة وآل عمران تَقْدُمَان السور يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هاتان السورتان هما أعظم السور، وسماهن النبي ﷺ الزهراوين[(١)]، لكن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن، وسورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وهي -أي: سورة الفاتحة- السبع المثاني التي نص الله عليها في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤).

obeikandl.com

❁ سورة البقرة ❁

(٨٥٨) يقول السائل ع. ي. ط: كثير من السور في بدايتها ﴿الٓمٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حٰمٓ﴾، ﴿عٓسٓقٓ﴾، فما معنى هذه الآيات؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآيات هي الحروف الهجائية ابتدأ الله تعالى بها في بعض السور، واختلف العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إنها أسماء لهذه السور، ومنهم من قال: إنها رموز وإشارات إلى أسماء الله -عز وجل-، ومنهم من قال: إنها أو إن بعضها اشارات إلى حوادث ستقع، ومنهم من قال: الله أعلم بما أراد بها، ومنهم من قال: إنها حروف هجائية ليس لها معنى ولكن لها مغزى، قالوا: ليس لها معنى، لأن الله -سبحانه وتعالى- يقول في هذا القرآن الكريم: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وفي آية أخرى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

وهذه الحروف الهجائية باللسان العربي ليس لها معنى، وعلى هذا فنقول: هذه الحروف الهجائية لا معنى لها، ولكن لها مغزى وحكمة عظيمة، هذه الحكمة هي بيان أن هذا القرآن العظيم المجيد الذي أعجز أمراء الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، بل قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، هذا القرآن الذي أعجز الثقلين أن يأتوا بمثله هو من هذه الحروف التي يركب هؤلاء القوم كلامهم منها، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولهذا لا تكاد تجد سورة مبدوءة بهذه الحروف الهجائية إلا وجدت بعدها ذكرًا للقرآن: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾

[آل عمران: ١-٣]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١-٢]، ﴿الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] وهكذا.

وأما قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١-٣] وقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣]، فهذه وإن لم يكن فيها ذكر للقرآن لكن فيها ذكر لأخبار صادقة لا يعلمها النبي ﷺ من قبل أن يوحى إليه هذا القرآن، وأخبار مستقبلة لا يعلم بها إلا الله -عز وجل-، ومن أطلعه الله عليها في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢-٣]، فإن أحدًا لا يعلم أن الروم الذين غلبوا سيغلبون في بضع سنين إلا الله -عز وجل-.

وأما قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ١-٢]، فإن فيها إشارة إلى القرآن، حيث إن النبي ﷺ الذي أُوحِيَ إليه هذا القرآن وُصِفَ ونُعِتَ بهذه النعوت الجليلة، بل قد يقال: إن فيه إشارة أيضًا: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] فإن القرآن كما يحفظ في الصدور يكتب بالأقلام أيضًا.

***

(٨٥٩) يقول السائل أ. م. ص: قال الله -تبارك وتعالى- في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فكيف عرفت الملائكة أن آدم وذريته سوف يفسدون في الأرض ويسفك بعضهم دم بعض؟ وهل يدل ذلك على أن هناك بشرًا خُلِقُوا قبل آدم؟ علمًا بأن الملائكة عندما عرض الله تعالى عليهم الأسماء قالوا: لا نعلم، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب عن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] اختلف فيها المفسرون، فمنهم من قال: إن معنى قوله: خليفة، أي: خالفًا لمن سبقه، وكان في الأرض عُمَّارٌ قبل آدم، وكان هؤلاء الْعُمَّارُ يحصل منهم سفك الدماء والإفساد في الأرض، واستدل هؤلاء بقول الملائكة -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وأن الجن قد خلقوا قبل الإنس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧].

ومنهم من قال: بل إن المراد بقوله: خليفة، أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا، فيذهب أناس ويأتي آخرون. وعندي أن الأقرب الأول، لموافقته لظاهر الآية، وهو أن آدم وذريته سيكونون خلفاء لمن سبقهم على الأرض، وأن الملائكة قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، بناء على ما حصل من هؤلاء القوم الذين خلفهم آدم وذريته في الأرض.

وفي الآية الثانية التي ساقها السائل، وهي قول الملائكة -لما قال الله لهم: أعلموني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا-: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] فيه دليل على أن الإنسان إذا سئل عن شيء لا يعلمه فإنه يقول مثل هذا القول، فيقول: الله أعلم، أو: لا علم لنا إلا ما علمنا الله، أو ما أشبه ذلك من الكلام، فإنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على الفتوى أو على الحكم بين الناس بلا علم، لأن ذلك من كبائر الذنوب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولقد كثر في الناس اليوم القول في دين الله تعالى بلا علم، من عامة ومن طلبة علم لم يتحققوا مما يقولون ويُفْتُون به، وهذا أمر خطير جدًا، ليس على المفتي وحده ولا على المستفتي وحده، بل على المفتي والمستفتي، بل وعلى الإسلام، لأن الفتوى بلا علم يكثر فيها الاختلاف، إذ إنها مبنية على مجرد نظر قاصر، وكل إنسان له نظره ومزاجه، والمقياس والميزان كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا تكلم الناس كل بما عنده اختلفت الآراء وكثر النزاع، وتذبذب العامة، وشكوا فيما هم عليه من الحق وقالوا: ما لهذا الدين؟ كل يقول كذا، وكل يقول كذا، والْتَبَسَ الأمر وحصل بذلك مفسدة كبيرة عظيمة.

فأنصح نفسي وإخواني بأن نقف على حدود الله -عز وجل-، وألا نتكلم في دين الله بما لا نعلمه من دينه، وبما لا نعلم أنه يجوز لنا الكلام فيه، ولقد سمعنا أشياء كثيرة من هذا النوع، يأتي الإنسان فيسمع حديثًا عامًّا يأخذ بعمومه، وقد دلت الأدلة الواضحة الصريحة على تخصيصه، بل ربما يحكم بدليل قد نُسِخَ ورُفِعَ حُكْمُهُ من أصله، وربما يأخذ بآثار وأحاديث ضعيفة لا تقاوم الأحاديث الصحيحة المدونة في كتب الإسلام المشهورة في الحديث.

فلهذا يجب على الإنسان أن يتقي الله -عز وجل- في نفسه وفي إخوانه المسلمين، وليس يُضِيرُهُ شيء إذا سئل عن شيء وقال: لا أعلم إذا كان لا يعلمه، بل هذا مما يزيده رِفْعَةً عند الله وعند الناس، ويثق الناس بقوله إذا كان يقول عما لا يعلم: إني لا أعلم، لأن الناس سيعرفون منه الورع، وأنه لا يتكلم إلا بعلم، أما إذا كان يتكلم عن كل ما سئل عنه، ثم يتبين خطؤه مرة أخرى فإن الناس لا يثقون به، وأسأل الله أن يجعلنا هداة مهتدين، وصالحين مصلحين.

***

(٨٦٠) يقول السائل م. ع. م: أحد الإخوة يقول: إن الشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة القمح، ويقول: إنني وجدت ذلك في كتاب اسمه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، يقولون إن الشجرة هي الحنطة، فهل هذا صحيح؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أن الشجرة غير معلومة لنا بعينها، وذلك لأن الله تعالى أَبْهَمَهَا في كتابه، وما أَبْهَمَهُ الله في كتابه فإنه لا يجوز لنا أن نَعَيِّنَهُ إلا بدليل عن معصوم، عن النبي ﷺ، وما عدا ذلك فإنه لا عبرة به، والأخبار الإسرائيلية اختلفت في تعيين هذه الشجرة، ولو كان لنا فائدة من تَعْيِينِهَا لَعَيَّنَهَا الله -سبحانه وتعالى- لنا، لكن الفائدة كل الفائدة في القصة والقضية، وليس في نوع الشجرة هل هي حنطة أو غير حنطة.

***

(٨٦١) يقول السائل م. ا: أرجو تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية الكريمة أن من الناس الذين أعطاهم الله العلم بآياته من يشتري ثمنًا قليلًا بهذه الآيات، أي: يُحَابِي الناس في دين الله من أجل الدنيا، أو يُحَافِظُ على البقاء، أو يحافظ على بقاء جَاهِه ورِئَاسَتِه من أجل الدنيا ويَدَعُ دين الله. فمثلًا يكون عالما يعلم أن هذا الشيء حرام، لكن لا يقول: إنه حرام، يخشى أن تنصرف العامة عنه وتقول، إنه متشدد، أو يخشى أن ينقص السلطان من راتبه، أو يُنَحِّيهِ عن منصبه إن قال: إن هذا حرام، فيذهب ويقول: إنه حلال، ليشتري به ثمنًا قليلًا، وهو الجاه عند العامة، أو البقاء في المنصب عند السلطان.

المهم أن الآية معناها العام: أن من الناس من يَدَعُ دين الله لشيء من أمور الدنيا.

***

(٨٦٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؟ لماذا قدم الصبر على الصلاة، مع أن الصلاة هي عماد الدين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قدم الله -تبارك وتعالى- الصبر على الصلاة،

لأن الصبر أوسع، فالصلاة عبادة مُعَيَّنَةٌ، لكنَّ الصبر أوسع، ومن الصبر الصلاة، لأن الصلاة طاعة لله -عز وجل-.

وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- أن الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على طاعة الله، وهو: حمل النفس على الطاعة.

الثاني: الصبر عن معصية الله، وهو: كف النفس عن المعصية.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، وهو: كف النفس عن التَّسَخُطِ من قضاء الله وقدره.

فيكون هذا من باب عطف الخاص على العام، لأن الصلاة صبر، فالإنسان يصبر نفسه عليها، ويحملها على أن تقوم بها، أي: بالصلاة.

***

(٨٦٣) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى في سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [البقرة: ٥١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم يقول الله -عز وجل- مَنَبِّهًا على هذا الوعد الذي وعده موسى -عليه الصلاة والسلام-، وكان الله تعالى قد واعد موسى لكلامه ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وكلمه الله -عز وجل- بعد ذلك وخاطبه بما أراد، وفي غيابه هذه المدة ابتلي قومه باتخاذ العجل إلهًا، ولهذا قال: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١]، فصنعوا من حُلِيِّ آل فرعون تمثالًا على شكل العجل، وقال السامري لبني إسرائيل: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٨٨]، فأضلهم بعد أن نصحهم هارون -عليه الصلاة والسلام-، ولكنهم ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١]، والقصة مبسوطة في سورة طه.

***

(٨٦٤) يقول السائل ح. ع: ما معنى الآية الكريمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية فيها الوعيد على قوم من أهل الكتاب حَرَّفوا الكتاب فزادوا فيه ونقصوا، وكان مما يزيدون فيه أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، هذا كتاب الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا من الجاه والرئاسة وغير ذلك من عوارض الدنيا.

يقول الله -عز وجل-: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩] من هذه الفعلة المحرمة، ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] من هذا الكسب المبني على محرم، فصاروا آثمين من ناحيتين: من ناحية الفعل، ومن ناحية ما نتج عنه من المكاسب الخبيثة.

وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن تصنع مثل ما صنع هؤلاء، ومن المعلوم أنه لن يستطيع أحد أن يصنع مثل هذا في كتاب الله، لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، لكن من الناس من يصنع مثل هذا في معاني كلام الله، فيكتب في تفسير الآية ما ليس تفسيرًا لها، لينال بذلك عرضًا من الدنيا، فليُبَشَّرْ من يفعل هذا الفعل بهذا الوعيد التي توعد الله به من سبقنا: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

***

(٨٦٥) يقول السائل: يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، فما معنى

obeikandl.com

هذه الآية؟ وهل يدخل فيها من يكتبون الْحُجُبَ من القرآن مقابل أجر نقدي يتقاضونه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- تَوَعَّدَ أولئك الذين يفترون عليه كذبًا، فيكتبون بأيديهم كلامًا ثم يقولون للناس: هذا من عند الله، من أجل أن ينالوا به حظًّا من الدنيا، إما جاهًا، أو رئاسة، أو مالًا، أو غير ذلك. ثم بَيَّنَ الله تعالى أن هذا الوعيد على الفعلين جميعًا، على كتابتهم الباطلة، وعلى كسبهم المحرم الناشيء عن هذه الكتابة الباطلة.

أما الذين يكتبون الحجب -وهو ما يعلق على المريض لشفائه من المرض، أو على الصحيح لوقايته من المرض- فإنه يُنْظَرُ: هل تعليق هذه الحجب جائزة أم لا؟ إذا كانت هذه الحجب لا يعلم ما كُتِبَ فيها، أو كُتِبَ فيها أشياء محرمة، كأسماء الشياطين والجن وما أشبه ذلك، فإن تعليقها لا يَحِلُّ بكل حال، وأما إذا كانت هذه الحجب مكتوبة من القرآن والأحاديث النبوية ففي حِلِّهَا قولان لأهل العلم، والراجح أنه لا يحل تعليقها، وذلك لأن التعبد لله -سبحانه وتعالى- بما لم يشرعه الله بدعة، ولأن اعتقاد شيء من الأشياء سببًا لم يجعله الله سببًا نوع من الشرك.

وعلى هذا فالقول الراجح أنه لا يجوز أن يعلق على المريض شيء، لا من القرآن ولا من غيره، ولا أن يعلق على الصحيح شيء، لا من القرآن ولا من غيره، وكذلك لو كتبت هذه الحجب ووضعت تحت وِسَادَةِ مريض ونحو ذلك، فإنه لا يجوز.

***

(٨٦٦) يقول السائل: لماذا ذكر المفسرون مثل الإمام ابن كثير أن جميع آيات العذاب الواردة في القرآن الكريم موجهة إلى الكفار خاصةً؟ عِلْمًا بأن بعض المسلمين قد يأتي ببعض الذنوب التي توجب الدخول في سياق هذه

الآيات، وعلمًا بأن بعض الآيات لم يرد فيها تحديد الكافر من المسلم العاصي، ومع ذلك فقد نَسَبَها المفسرون إلى الكفار خاصةً، مثل قوله تعالى في سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قول هذا السائل: إن المفسرين حملوا آيات الوعيد الواردة في القرآن على الكفار ليس بصحيح، وما علمت أحدًا قال ذلك، لا ابن كثيرٍ ولا غيره، ولا يمكن لأحدٍ أن يقول هذا، لأن آيات الوعيد في القرآن منها ما يكون للكافرين ومنها ما يكون لغير الكافرين، فمثلًا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، هذه الآية لا تختص بالكافرين، حتى من كان مؤمنًا فإنه يلحقه هذا الوعيد، ولكن كل ما ورد من الوعيد على فعل المعاصي التي هي دون الكفر فإنها داخلة تحت عموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فتكون عقوبة هذا العاصي داخلةً تحت مشيئة الله -عز وجل-، قد يغفر الله له يوم القيامة بِمَنِّه وكَرَمِهِ، وقد يغفر له بواسطة الشفاعة، أو بغير ذلك من الأسباب.

المهم أن آيات الوعيد وكذلك أحاديث الوعيد لا تختص بالكافر، بل قد تكون للمؤمن أيضًا، ولكن المؤمن يكون بالنسبة إلى هذا الوعيد داخلًا تحت مشيئة الله -عز وجل-، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

***

(٨٦٧) يقول السائل أ. ع. ب: ما الحكمة بأن الله -سبحانه وتعالى- لم يبين عددَ أصحاب الكهف؟ ومن هم أصحاب الكهف؟ ومن هم أصحاب السَّبْتِ؟ وما قصتهم؟ أفيدونا في ذلك بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل أن أجيب على هذا السؤال أود أن أُبَيِّنَ أن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكيم معناه الحاكم المحكم، فالله -سبحانه وتعالى- حاكم على عباده شرعًا وقدرًا، وهو -سبحانه وتعالى- ذو الحكمة البالغة التي لا تدركها أو لا تحيط بكنهها العقول، وما من شيء يُقَدِّرُهُ الله -سبحانه وتعالى- أو يَشْرَعُه لعباده إلا وله حكمة، لكن من الْحِكَم ما نعلمه ومن الحكم ما لا نعلم منه شيئًا، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وعلى هذا يجب على كل مؤمن أن يسلِّم لأمر الله الكوني والشرعي، ولحكمه الكوني والشرعي، وأن يعلم أنه على وفق الحكمة، وأنه لحكمة.

ولهذا لما سألوا النبي ﷺ عن الروح قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: «**كان يصيبنا ذلك - تعني: على عهد النبي ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة**»[1]، تعني: أن الشرع هكذا جاء، ولا بد أن لذلك حكمة.

وإذا تقررت هذه القاعدة في نفس المؤمن تم له الاستسلام لله -عز وجل- والرضا بأحكامه.

نعود إلى الجواب عن السؤال، وقد تضمن السؤال عن شيئين:

الأول: أصحاب الكهف، وقد قال السائل: ما الحكمة في أن الله -سبحانه وتعالى- لم يُبَيِّنْ عددهم؟ فنقول: إن الله تعالى قد أشار إلى بيان عددهم في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، فهذه الآية تدل على أنهم سبعة وثامنهم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، رقم (٣٢١)، ومسلم: كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، رقم (٣٣٥).

كلبهم، لأن الله تعالى أبطل القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الكهف: ٢٢]، هذا إبطال لهذين القولين، أما الثالث فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولم ينفه الله -عز وجل-.

وأما قوله: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [الكهف: ٢٢] فلا يعني ذلك أن غير الله لا يعلم بها -أي بالعدة- وإنما يراد بذلك أن نبينا محمدًا ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله -سبحانه وتعالى-، ويكون في ذلك إرشاد للنبي ﷺ أن يفوض العلم إلى الله، ولو كان المعنى لا يعلم عِدَّتَهُمْ أحد لكان مناقضًا لقوله: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف: ٢٢]، فإن الآية تدل على أن قليلًا من الناس يعلمون عدتهم، وعلى هذا فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم، وهؤلاء السبعة فِتْيَةٌ آمنوا بالله -عز وجل- إيمانًا صادقًا، فزادهم الله تعالى هدى، لأن الله -عز وجل- إذا علم من عبده الإيمان والاهتداء زاده هدى، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين بالله، وزادهم الله تعالى هدى علمًا وتوفيقًا، وكانوا في بلد أهلها مشركون، فأووا إلى كهف يحتمون به من أولئك المشركين، وكان هذا الكهف وجهه إلى الناحية الشرقية الشمالية، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧]، وهذه الوجهة أقرب ما يكون إلى السلامة من حر الشمس وإلى برودة الجو، بقوا على ذلك ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، والله -عز وجل- يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال في نومهم هذا، وقد ألقى الله الرعب على من أتى إليهم، كما قال تعالى: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] كل ذلك حماية لهم، ثم إن هؤلاء القوم بعد هذه المدة الطويلة أيقظهم الله من رقادهم، ولم يتغير منهم شيء، لا في

شعورهم، ولا في أظفارهم، ولا في أجسامهم، بل الظاهر -والله أعلم- أنه حتى ما في أجوافهم من الطعام قد بقي على ما هو عليه، لم يجوعوا ولم يعطشوا، لأنهم لما بعثهم الله -عز وجل- تساءلوا بينهم: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وهذا يدل على أنه لم يتغير منهم شيء، وأن ما ذكر من أن أظفارهم زادت، وشعورهم طالت هو كذب، لأنه لو كان الأمر كذلك لعرفوا أنهم قد بقوا مدة طويلة.

هؤلاء القوم في قصصهم أو في قصتهم عبرة عظيمة، حيث حماهم الله -عز وجل- من تسلط أولئك المشركين عليهم، وآواهم في ذلك الغار هذه المدة الطويلة من غير أن يتغير منهم شيء، وجعل -سبحانه وتعالى- يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، لئلا تتأثر الجنوب التي يكون عليها النوم، وحماهم الله -عز وجل- بكون من اطلع عليهم يُوَلِّي فرارًا ويملأ منهم رعبًا.

والخلاصة التي تستخلص من هذه القصة هي: أن كل من التجأ إلى الله -عز وجل- فإن الله تعالى يَحْمِيه، بأسباب قد يدركها وقد لا يدركها، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، فإن مدافعة الله عن المؤمنين قد تكون بأسباب معلومة، وقد تكون بأسباب مجهولة لهم، فهذا يرشدنا؟ إلى أن نحقق الإيمان بالله -عز وجل- والقيام بطاعته.

وأما أصحاب السبت فإن قصتهم أيضًا عجيبة وفيها عبر، أصحاب السبت أهل مدينة من اليهود، حرَّم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت، وابتلاهم الله -عز وجل- حيث كانت الحيتان يوم السبت تأتي شُرَّعًا على ظهر الماء كثيرة، وفي غير يوم السبت لا تأتي، فضاق عليهم الأمر وقالوا: كيف ندع هذه الحيتان؟ لكنهم قالوا: إن الله حرَّم علينا أن نَصِيدها في يوم السبت، فلجؤوا إلى حيلة، فوضعوا شباكًا في يوم الجمعة، فإذا كان يوم السبت وجاءت الحيتان ودخلت في هذه الشباك انحبست بها، فإذا كان يوم الأحد جاؤوا

فأخذوها، فقالوا: إننا لم نأخذ الحيتان يوم السبت، وإنما أخذناها يوم الأحد، ظنوا أن هذا التحيل على محارم الله ينفعهم، ولكنه بالعكس، فإن الله تعالى جعلهم قردة خاسئين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

ففي هذه القصة من العبر: أن من تحيَّل على محارم الله فإن حيلته لا تنفعه، وأن التحيل على المحارم من خصال اليهود.

وفيها أيضًا من العبر: ما تدل عليه القصة في سورة الأعراف: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٥]، فقد انقسم أهل هذه القرية إلى ثلاثة أقسام: قسم اعتدوا وفعلوا ما حرَّم الله عليهم بهذه الحيلة، وقسم نَهَوْهُم عن هذا الأمر وأنكروا عليهم، وقسم سكتوا بل ثَبَّطُوا الناهين عن المنكر وقالوا: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا؟ وقد بَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أنه أنجى الذين ينهون عن السوء، وأنه أخذ الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، وسكت عن الطائفة الثالثة، وفيه دليل على خطورة هذا الأمر - أي: على خطورة من كان ينهى الناهين عن السوء، فيقولون مثلًا: إن الناس لن يبالوا بكلامكم، ولن يأتمروا بالمعروف، ولن ينتهوا عن المنكر، وما أشبه ذلك من التثبيط عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه دليل على أنه يجب على الإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سواء ظن أنه ينفع أم لن ينفع، معذرة إلى الله، ولعل المنهي يتقي الله -عز وجل-.

***

(٨٦٨) يقول السائل: ما صحة قصة الملكين هاروت وماروت بعد ما كلفهما الله -عز وجل- بأمره ونهاهما عما نهاهما عنه؟ ما الإثم الذي ارتكباه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الصحيح أن هذه قصة مفتعلة مأخوذة عن بني إسرائيل، وما أكثر أخبار بني إسرائيل التي لا أساس لها من الصحة، وإني أنصح أخي السائل وغيره أن يقتصروا في القَصَصِ على ما جاء في القرآن والسُّنَّة فقط، والسُّنَّة الصحيحة أيضًا، وذلك لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٩]، فإذا كان لا يعلمهم إلا الله فإن الواجب أن نتلقى أخبارهم من الله -سبحانه وتعالى-، من القرآن أومن السُّنَّة الصحيحة عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وربما كان في هذه القصص ما يقدح في التوحيد من حيث لا يعلم الإنسان، وأضرب للسائل مثلًا بقصة داود -عليه الصلاة والسلام- في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

يزعم بعض القُصَّاص أن داود -عليه الصلاة والسلام- أعجبته امرأة رجل عنده، وكان داود -عليه الصلاة والسلام- عنده تسع وتسعون امرأة، فأعجبته هذه المرأة وهي مع زوج، ففكر ماذا يصنع للوصول إليها؟ فأمر هذا الرجل أن يذهب للغزو في سبيل الله، لعله يقتل فيتزوجها داود من بعده، وهذا من أعظم المنكرات، هذا لا يليق برجل عاقل، فضلًا عن مؤمن، فضلًا عن نبي من الأنبياء، فهي قصة مكذوبة تَخْدِشُ العقيدة، داود -عليه الصلاة

والسلام- مُبَرَّأٌ من هذا الخلق الذميم، والقصة على ظاهرها، خصمان اختصما عند داود -عليه الصلاة والسلام-، وكان داود قد انفرد يعبد الله -تبارك وتعالى- في محرابه، وأغلق عليه الباب اجتهادًا منه، وكان داود -عليه الصلاة والسلام- هو الذي يَحْكُمْ بين الناس، والحاكم بين الناس يجب أن يفتح لهم الباب، وأن يفسح لهم المجال حتى يختصموا ويحكم بينهم، فَفَتَنَهُ الله -عز وجل-، وذلك بأن اختبره -سبحانه وتعالى- لما انفرد في محرابه وأغلق الباب، بعث الله إليه هذين الخصمين فتسوروا المحراب، يعني أنهم قفزوا من فوق الجدار، ففزع منهم كيف يدخلون عليه والباب مغلق؟ فقالوا: لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض، وذكر الباغي فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣]، والنعجة هنا ليست المرأة كما قيل، بل هي الشاة ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: هَبْهَا لي لأجل أن أكمل مائة، فيبقى هو عنده مائة نعجة وهذا ليس عنده شيء، يقول: عَزَّنِي في الخطاب، يعني غَلَبَنِي، كأنه فصيح ذو بيان شديد، فقال داود -عليه الصلاة والسلام-: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه.

فالقصة فيها **أولًا**: أن داود -عليه الصلاة والسلام- انفرد في محرابه في عبادته الخاصة، دون أن يفتح بابه للحكم بين الناس.

ثانيًا: أنه استمع إلى الخصم دون أن يأخذ حجة الخصم الآخر.

ثالثًا: أنه حكم بقول الخصم دون أن ينظر ما عند الخصم الآخر، فلذلك علم داود أن الله تعالى اختبره وفَتَنُه، فَخَرَّ راكعًا وأناب، وتاب إلى الله -عز وجل- من كونه انفرد في محرابه وأغلق الباب عليه، وكونه أخذ بقول الخصم دون أن يسأل الخصم الآخر، وكونه حكم له دون أن ينظر ما عند الآخر من مدافعة، هذه هي القصة، وهي واضحة في القرآن، ولا حاجة أن نَصْطَنِعَ قصصًا مكذوبة وفيها خدش للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وأمثال هذا كثير.

لذلك أنصح إخواننا الذين يقرؤون في كتب التفسير المشحونة بهذه الإسرائيليات ألا يتمادوا في هذا، وأقول لهم: اتركوا هذه التفاسير وإن كان فيها خير كثير، لكن هذا الشر الذي لا يعلم عنه إلا العلماء قد يغتر به بعض العامة الذين يطالعون هذه الكتب.

***

(٨٦٩) يقول السائل س. ع. ا: ما تفسير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعنى أن الله -سبحانه وتعالى- بَيَّنَ أنه لا ينسخ حكمًا من أحكام الشريعة إلا أتى بخير منه للعبد أو مثله.

***

(٨٧٠) يقول السائل: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ما هي المحبة المقصودة في الآية؟ هل هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المحبة في القلب، وكل أحد يعرف المحبة والبغض والكراهة، لكن من آثار محبة الله أن يقوم الإنسان بطاعة الله -عز وجل- طلبًا للوصول إليه -تبارك وتعالى-، فالذين آمنوا أشد حبًّا لله من هؤلاء الكفار لأصنامهم، لأنهم يعبدون الله على بَصِيرَةٍ، أو أنه أشد حبًّا لله من هؤلاء لله، إن كان في قلوب هؤلاء العابدين للأصنام محبة لله -عز وجل-.

***

(٨٧١) يقول السائل: ما تفسير الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الأمة التي أشار الله إليها هي الأمم التي بُعِثَ إليهم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، والرسل السابقون، فإن هؤلاء لهم دينهم وانتهوا وخَلَوْا، ولكم أنتم أيها المخاطبون في عهد النبي -صلى الله عليه

وآله وسلم- ما كسبتم، فأنقذوا أنفسكم ولا تقولوا: نحن أبناء هذه الأمة، أبناء الرسل وما أشبه ذلك، فإن لهؤلاء ما كسبوا ولكم أنتم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون.

وقد قالت اليهود: إن إبراهيم كان يهوديًّا، وقالت النصارى: إن إبراهيم كان نصرانيًّا، وصاروا يُحاجُّون المسلمين، ولكن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين -عليه الصلاة والسلام-.

***

(٨٧٢) يقول السائل ط. م: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، لما توجه النبي ﷺ إلى الكعبة بدلًا من بيت المقدس، وكان الرسول ﷺ أول ما قدم المدينة يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا وكان يحب ﷺ أن يُؤْمَر بالتوجه إلى الكعبة، فَيُقَلِّبَ وجهه في السماء تَرَقُّبًا لنزول جبريل عليه السلام بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] إلى آخر ما ذكره الله -سبحانه وتعالى- في هذا الموضوع، فتوجه النبي ﷺ إلى الكعبة، فكان اليهود - ينتقدون ذلك، وهو أنه اتجه أولًا إلى بيت المقدس، ثم اتجه ثانيًا إلى الكعبة، فبين الله تعالى أن الاتجاه إلى المغرب أو إلى المشرق ليس هو البرُّ، ولكن البر طاعة الله -سبحانه وتعالى- والإيمان به: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية.

والمعنى: ولكن البر هو بالإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، الإيمان الذي يستلزم امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه، فهذه هي حقيقة البر.

***

(٨٧٣) يقول السائل: كيف نُوَفِّقُ بين قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والآية الأخرى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؟ وهل الرواية التي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قراءة: وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين واردة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نُوَفِّقُ بين الآيتين اللتين أشار إليهما السائل، وهما قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وبين قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] بأن الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن سلمة بن الأكوع: أن الصيام أول ما فرض كان الإنسان مُخَيَّرًا بين أن يصوم ويَفْدِي[(١)]، ثم أنزل الله تعالى الصيام عينًا، وبقي الفداء لمن لا يستطيع الصيام على وجه مستمر. فإن العاجز عن الصيام عجزًا مستمرًا، كالكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه، يكون عليه بدلًا عن الصوم فدية طعام مسكين.

وأما ما أشار إليه السائل من قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين، فهذه لا أعلمها عن ابن عباس، ولكنه قول لبعض المتأخرين، وتفسير الآية به تفسير ضعيف جدًا، لأنه يقتضي تفسير الشيء المثبت بشيء منفي، وهذا ضد التفسير تمامًا، وإنما جاء عن ابن عباس في الآية الكريمة: وعلى الذين يُطَوَّقُونه فدية طعام مسكين، أي: يبلغون طاقتهم فيشق عليهم.

ولكن الصحيح في الآية ما أشرنا إليه أولًا، لصحة الحديث به، وهو: أنه كان الصوم حين فرض أولًا يخير فيه الإنسان بين أن يفدي وأن يصوم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهذا دليل على أن الآية نزلت فيمن يستطيع الصوم، فيخير بين أن يصوم ويفدي، ثم تعين الصيام بعد ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصيام، باب ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، رقم (٤٥٠٧)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان نسخ قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، رقم (١١٤٥).

خلاصة ما سبق: يكون في الآية الكريمة ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنها فيمن يطيقون الصوم، فلهم أن يصوموا ويفدوا، ولكن الصوم خير لهم، وهذا القول وهذا الوجه هو الصواب، لدلالة الحديث الصحيح عليه.

والوجه الثاني: أن معنى الآية: وعلى الذين يطوَّقونه أي: يبلغون طاقتهم ويشق عليهم، وهذا الوجه مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

والوجه الثالث: أن معنى الآية: وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين، وهذا الوجه قاله بعض المتأخرين، وهو وجه ضعيف لا يتناسب وتفسير القرآن.

والوجه الأول هو الصحيح، لثبوت الحديث به.

***

(٨٧٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]؟ **أفيدونا بارك الله فيكم.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية الكريمة يتبين معناها بمعرفة ما نزلت فيه، وذلك أنهم كانوا أول ما فرض الصيام إذا نام الإنسان منهم أو صلى صلاة العشاء، حَرُمَ عليه الأكل والشرب والجماع حتى تغرب الشمس من اليوم التالي، ثم مَنَّ الله تعالى على عباده فأحل لهم الأكل، والشرب، والجماع حتى يتبين الفجر، فقال -جل ذكره-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: الإفضاء إليهنّ، وهذا يعني الجماع، ثم بين الله -سبحانه وتعالى- أن المرأة لباس لزوجها، وأن زوجها لباس لها، لأن كل

واحد منهما يحصل به تحصين فرج صاحبه وحمايته وحفظه: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: باشروا نساءكم بالجماع ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] من الولد الصالح والعمل الصالح في هذه الليلة التي أبيح لكم فيها الجماع، بحيث لا يُلْهِيكم الجماع عن طاعة الله -عز وجل-، ولا تريدوا بالجماع مجرد التلذذ والشهوة، أو مجرد التلذذ وإدراك الشهوة فباشروهنّ بالجماع مبتغين ما كتب الله لكم من الأعمال الصالحة والولد الصالح، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: حتى يظهر لكم بياض النهار من سواد الليل ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: إلى غروب الشمس، لقول النبي ﷺ: **«إذا أقبل الليل من هاهنا -يعني: المشرق- وأدبر النهار من هاهنا -يعني: المغرب- وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»**(١).

ثم لما كان إحلال المرأة ليلة الصيام عامًّا شاملًا، استثنى الله تعالى، أو خص الله -سبحانه وتعالى- زمن الاعتكاف، فإنه لا يحل للزوج أن يباشر زوجته وهو معتكف، فقال: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والاعتكاف هو التعبد لله -سبحانه وتعالى- بلزوم المساجد للتفرغ لطاعته، فـ **«إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ»**(٢).

ثم بَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أن هذه الأحكام المشتملة على المنهيات وعلى الأوامر أنها حدود الله، ونهى عن قُرْبَانها، والنهي عن القربان يختص بالحدود المحرمة، والنهي عن الاعتداء يختص بالحدود الواجبة، فإذا قال الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، رقم (١٩٤١)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، رقم (١١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، رقم (٢٠٢٦)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، رقم (١١٧٢).

-سبحانه وتعالى-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي: لا تتجاوزوها، فالمراد بها الواجبات. وإذا قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالمراد بها المحرمات، وهنا يقول -عز وجل-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: مثل هذا البيان يبين الله -سبحانه وتعالى- آياته الشرعية للناس، حتى يعلموها وتقوم عليهم الحجة بها.

وفي آخر الآية دليل على أن الله -عز وجل- قد بَيَّنَ لعباده كل ما يحتاجون إليه في أمور الشريعة، إما في كتاب الله وإما في سنة رسوله الله ﷺ، لكن هذا البيان قد يخفى على بعض الناس، إما لقصوره وإما لتقصيره، وإلا فإن القرآن كما وصفه الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فهذا هو معنى الآية الكريمة.

***

(٨٧٥) يقول السائل ف. ف. ع: ما معنى قوله تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الله تعالى أباح لنا أن نأكل ونشرب كل الليل، حتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، والخيط الأبيض هو بياض النهار، والخيط الأسود هو سواد الليل، أي: إن الله -عز وجل- أباح لنا أن نأكل ونشرب حتى نرى الفجر بأعيننا، فإذا رأيناه ظاهرًا وجب علينا الإمساك حينئذ، من ذلك الوقت إلى الليل.

وقد بَيَّنَ النبي ﷺ الغاية في قوله: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم**»[1]، هذا هو معنى الآية الكريمة.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث عدي بن حاتم ﷺ أنه فهم الآية على أن المراد بالخيط الأبيض الحبل الأبيض، وبالخيط الأسود الحبل الأسود، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»(١).

***

(٨٧٦) يقول السائل ع. ا. س: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩] ما تفسير هذه الآية الكريمة بارك الله فيكم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية الكريمة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٩] خطاب من الله -سبحانه وتعالى- لرسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يجيب الصحابة الذين سألوا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن الحكمة في هذه الأهلة، فَبَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أنها مواقيت للناس ومواقيت للحج، مواقيت للناس في معاملاتهم وعباداتهم، وغير ذلك مما يحتاجون فيه إلى التوقيت، وكلمة الناس عامة تشمل جميع بني آدم، فتحديد الشهور الذي وضعه الله تعالى لعباده إنما هو بالأهلة، لأن الله قال: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩] وعَمَّمَ، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقد اتفق العلماء على أن المراد بهذه الشهور هي الشهور الهلالية، اعتمادًا على ما جاءت به السُّنَّة المطهرة عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

فهي مواقيت للناس في العبادات وفي المعاملات، ففي العبادات: شهر رمضان يُصَام إذا رُئِيَ هلاله، ويفطر منه إذا رئي هلال شوال.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، رقم (٤٥٠٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم (١٠٩٠).

وفي الْمُعْتَدَّاتِ: المتوفى عنها زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام بالأهلة، المطلقات اللاتي لا يحضن لصغر أو إياس يعتددن بثلاثة أشهر بالأهلة، الناس يؤجلون ديونهم وغير ديونهم بالأشهر بالأهلة، وهكذا جميع ما يحتاج إلى تأجيل بالشهر يكون الاعتماد فيه على الأهلة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] يعني: أن الحج مربوط بالهلال أيضًا، لأن ابتداء الحج يكون من اليوم الثامن من ذي الحجة، وينتهي باليوم الثالث عشر منه، وأشهر الحج: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهذه الأشهر الهلالية منها أربعة حرم، وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية، ورجب منفرد بين جمادى وشعبان، والأهلة مقرونة بالقمر، يبدو في الغرب صغيرًا، ثم لا يزال ينمو رويدًا رويدًا، إلى أن يتكامل نموه في نصف الشهر، ثم يعود إلى الاضمحلال حتى يتم، ثم يعود مرة ثانية فيخرج من المغرب، وخروجه من المغرب هو ابتداء الهلال. هذا هو معنى الآية الكريمة.

***

(٨٧٧) يقول السائل أ. م: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، من هم حاضرو المسجد الحرام؟ هل هم أهل مكة أم أهل الحرم؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الذي ذكره السائل هو جزء من آية ذكرها الله -سبحانه وتعالى- فيمن تمتع، فقال: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦] هم أهل مكة ومن كان من الحرم دون مسافة القصر، على اختلاف العلماء في تحديدها، هؤلاء هم حاضرو المسجد الحرام.

فمن كان من حاضري المسجد الحرام فإنه وإن تمتع بالعمرة إلى الحج ليس عليه هدي، فلو سافر الرجل من أهل مكة إلى المدينة مثلًا في أشهر الحج، ثم رجع من المدينة فأحرم من ذي الحليفة بالعمرة، مع أنه قد نَوى أن يحج هذا العام، فإنه لا هَدْي عليه هنا، لأنه من حاضري المسجد الحرام، ولو أن أحدًا فعله من غير حاضري المسجد الحرام لوجب عليه الهدي، أو بدله إن لم يجده.

وأهل مكة يمكن أن يتمتعوا ويمكن أن يَقْرِنُوا ولكن لا هَدْي عليهم، فمثال تمتعهم ما ذكرت آنفًا، أن يكون أحدٌ من أهل مكة في المدينة، فيدخل مكة في أشهر الحج محرمًا بعمرة، ناويًا أن يحج من سَنَتِهِ، ثم يحج، فهذا تمتع بالعمرة إلى الحج، لكن لا هدي عليه، لأنه من حاضري المسجد الحرام.

ومثال القِرَانِ: أن يكون أحد من أهل مكة في المدينة، ثم يحرم من ذي الحليفة في أيام الحج بعمرة وحج قارنًا بينهما، فهذا قارن، ولا هَدْي عليه أيضًا، لأنه من حاضري المسجد الحرام.

***

(٨٧٨) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٩-٢٠٢]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] يعني: أنه كان أهل مكة لا يقفون بعرفة في الحج، يقفون في مزدلفة ويقولون: نحن أهل الحرم، لا يمكن أن نقف إلا بالحرم، فيقفون في مزدلفة، فقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ

﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: من المكان الذي أفاض الناس منه، وهو عرفة، ولهذا قال جابر رضي الله عنه وهو يصف حج النبي ﷺ: «أجاز رسول الله ﷺ من المزدلفة بالمشعر الحرام، لم تشك قريش أنه سيقتصر عليه، ويكون منزله، ثم فأجاز ولم يعرض له، حتى أتى عرفات فنزل»[1]، فلم يفعل ﷺ ما كانت قريشٌ تفعل في الجاهلية، ولكنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تجاوزها ونزل بنمرة، ثم لما زالت الشمس ذهب إلى عرفة ووقف هناك، فأمر الله تعالى الناس جميعًا -ومنهم قريش- أن يُفيضُوا من حيث أفاض الناس.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] يعني: اسألوا الله المغفرة، والمغفرة هي ستر الذنب والعفو عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ١٩٩-٢٠٠]، وذلك لأن الإنسان إذا فرغ من العبادة ربما يلحقه كسل أو ملل فيغفل عن ذكر الله، فأمر الله تعالى أن يذكر الإنسان ربه إذا قضى نُسُكَهُ، وهذا كقوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠]، فأمر بذكره لأن الإنسان مظنة الغفلة، إذا خرج من الصلاة ثم سعى في التجارة فإنه مظنة الغفلة، فلهذا قال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

ثم قَسَّمَ الله تعالى الناس إلى قسمين: منهم من يقول: ربنا آتنا في الدنيا وليس له همٌّ في الآخرة، ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريع الحساب.

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٨٧٩) يقول السائل م. ع: ما هي المنافع الواردة في هذه الآية الكريمة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المنافع للناس ما يحصل من الاتجار في الخمر ومن المكاسب بالْمَيْسِرِ، وما يحصل من النَّشْوَةِ والطرب في الخمر، وما يحصل من الفرح والسرور في الكسب في الميسر، وما يحصل كذلك من الحركة في العمال الذين يباشرون هذه الأعمال، ولكن هذه المنافع وإن عظمت وكثرت فإن الإثم أعظم منها وأكبر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وتأمل هذه الآية الكريمة حيث قال: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فذكر المنافع بصيغة منتهى الجموع الدالة على الكثرة، ومع ذلك فإن كثرتها ليست بشيء بالنسبة لما فيهما من الإثم الكبير.

وقد كان الخمر حلالًا في أول الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل: ٦٧]، ثم أنزل الله آية البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم نزلت آية النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، فامتنع الناس عن الشرب وقت الصلاة، وكان في هذا نوع فِطَام لهم، ثم نزلت آية المائدة، وهي آخر ما نزل بشأن الخمر والميسر، فقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، فانتهى الناس عن ذلك، وصار تحريم الخمر بنص الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، ولهذا قال العلماء: من اسْتَحَلَّ الخمر فهو كافر مرتد خارج عن الإسلام، ومن شربها معتقدًا تحريمها فهو آثم وعاص لله ولرسوله، ويجب على ولي الأمر أن يُقِيمَ عليه العقوبة التي جاءت بها السُّنَّة وصحت عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وذهب بعض العلماء إلى أنه -أي: شارب الخمر- إذا شرب ثم جلد، ثم شرب ثم جلد، ثم شرب ثم جلد، ثم شرب الرابعة فإنه يقتل، لحديث ورد في ذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يقتل إذا لم ينته الناس بدون القتل»، معناه: إن الناس انهمكوا فيها حتى صار الإنسان منهم يجلد ثلاث مرات ولا يتوب، ففي هذه الحال يقتل، لأن مصلحة قتله خير من مصلحة بقائه.

وجمهور أهل العلم على أنه لا يقتل ولو جلد ثلاث مرات، بدعوى أن الحديث الوارد في ذلك إما منسوخ أو ضعيف.

وعلى كل حال فإن الواجب على المسلم أن يكون مؤمنًا بالله، قائمًا بأمر الله، مُجْتَنِبًا لهذه القاذورات التي إن كان فيها نشوة ساعة من زمان ففيها مضرة أيامًا وشهورًا.

والخمر مفتاح كل شر وأم الْخَبَائِثِ، وكم من إنسان سكر فطلق زوجته، وكم من إنسان سكر فزنى بمحارمه والعياذ بالله، وكم من إنسان سكر وقتل نفسًا وربما يقتل نفسه.

فالحاصل أن الواجب على المؤمن أن يتجنب مثل هذه القاذورات، وأن يتقي الله -عز وجل-، وأن يحمد الله الذي فَضَّلَهُ على كثير ممن خلق تفضيلًا.

***

(٨٨٠) يقول السائل: المال الذي تريد الزوجة أن تَفْتَدِيَ به نفسها من زوجها، هل يرجع أمر تحديده إلى الزوج برغبته؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؟ وهل لا بد أن يكون مالًا، أم لا يشترط ذلك، بل بما يرضي الزوج أيًّا كان؟ ومن ذلك أن رجلًا اشترط على زوجته شرطًا، أنها إذا طلبت الطلاق سيكون ثمن ذلك أن ما عندها وقت الطلاق من الأطفال يكونون معه بدون شرط ولا حساب، وإلا فلن يطلقها حتى يبلغ الأطفال سبع سنين، فهو يقول لأهلها: سأقبل تَسْرِيحها إذا هي

أرادت إذا كان ولدي المفطوم بيدي آخذه متى شئت بلا شرط، ففداؤها عدم حضانتها. فهل يصح مثل هذا أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه المسألة تسمى مسألة الْخُلْع، أو الطلاق على عِوَضٍ كما هو عند أكثر أهل الفقه، وإن كان بعض أهل العلم يقول: إن الطلاق على عوض خلع ولو وقع بلفظ الطلاق، وذلك أن المرأة إذا لم تستطع البقاء مع الزوج، ولم يرغب أن يطلقها بدون عوض، فلا جناح عليهما فيما افتدت به.

واختلف أهل العلم: هل يجوز أن يطلب منها في الخلع أكثر مما أعطاها أو لا يجوز؟ فمنهم من قال: إنه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها، بل ليس له الحق إلا أن يأخذ ما أعطاها فقط، وذلك لأن أخذه أكثر مما أعطاها فيه شيء من الظلم لها، واستدلوا بأن هذا الرجل أخذ مقابل ما أعطاها بما استحل من فرجها، فإذا أخذ منها أكثر كان ظالمًا.

وقال بعض أهل العلم: إنه يجوز أن يخالعها بأكثر مما أعطاها، لعموم قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وما اسم موصول فهو من صيغ العموم. إلا أن القائلين بأنه لا يأخذ أكثر قالوا: إن هذا الاستثناء عائد على ما سبق، وهو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] مما أعطاها.

ولاشك أن هذا القول -أعني: أنه لا يأخذ أكثر مما أعطاها- أبرأ لذمته وأسلم، اللهم إلا أن يكون قد تزوجها في وقت المهور فيه رخيصة، ولو اقتصر على ما أعطاها لم يجد به زوجة، وهو لا يجد ما يكمل المهر، فهنا قد نقول بأنه لا حرج عليه في طلب أكثر مما أعطاها.

أما ما ذكره السائل من كون العوض إسقاط حقها من حضانتها، فظاهر الآية أنه يصح، لعموم قوله: ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولكن المعروف

عند أهل العلم أنه لا يصح إلا بالمال، بما يصح مهرًا، وإسقاط حقها من الحضانة ليس من هذا الباب.

وعلى هذا فنقول: إذا أراد أن يخالعها فليجعل عوضًا ولو يسيرًا، لو عشرة دراهم أو ما أشبهها، وحينئذ يتم الخلع، وإذا أسقطت حقها من الحضانة فلا حرج في ذلك.

***

(٨٨١) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]؟ وما المقصود بالصلاة الوسطى؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المراد بالصلاة الوسطى هنا صلاة العصر، وقد ثبت تفسيرها عن النبي ﷺ حيث قال في غزوة الخندق: «**شغلونا -يعني: الأحزاب- عن الصلاة الوسطى صلاة العصر**»[(١)]، وإذا فسّر النبي -عليه الصلاة والسلام- القرآن بشيء فإن تفسيره هو الواجب قبوله، ولا قول لأحد بعد قول الرسول ﷺ، والعلماء مختلفون في هذه المسألة، ولكن الراجح هو ما ذكرنا، لدلالة السُّنَّة عليه.

***

(٨٨٢) يقول السائل أ. أ: أرجو توضيح كلمة القُنُوت بالتفصيل، حتى نكون إن شاء الله من القانتين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القنوت لعله يريد قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وهو يطلق على معانٍ متعددة، منها: السُّكُوت، ولهذا قال راوي الحديث: «**فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام**»[(٢)]، ومعلوم أن المراد بالسكوت السكوت

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم (٢٩٣١)، ومسلم: كتاب المساجد، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، رقم (٦٢٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٩).

عن كلام الناس، لا بالسكوت عن كل شيء، لأن الصلاة كلها أقوال وأفعال لا بد منها، فالقُنُوتُ يطلق على ترك ما ينافي الصلاة.

ويطلق أيضًا على إطالة القيام والقراءة، ويطلق أيضًا على كمال الخشوع لله -عز وجل-، ويطلق على الدعاء، كما قَنَتَ النبي -صلى الله وعليه وسلم- للمستضعفين، وقَنَتَ يدعو على أقوام آخرين.

***

(٨٨٣) يقول السائل: ما فضل آية الكرسي؟ وفيم تذكر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: آية الكرسي ثبت عن النبي ﷺ أنها أعظم آية في كتاب الله[(١)]، وأن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[(٢)]. وهذا فضل عظيم، وحماية عظيمة من الله -سبحانه وتعالى- لمن قرأها، ويستحب أيضًا أن تُقْرَأَ في أدبار الصلوات المكتوبة، هذا ما أعرفه حول هذا الموضوع.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: لكن هل هناك أشياء تذكر فيها مثلًا إنسان سيدعو على إنسان آخر أو سيطلب منه شيئًا، هل يقرأ هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا، لا يقرؤها، يعني: يجعلها مقدمة لحاجته، لا ليس بمشروع.

***

(١) هو حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**»، أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم (٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، رقم (٢٣١١).

(٨٨٤) يقول السائل: في الآية الكريمة في سورة فاطر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وتفسير الآية في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، هل تأتي التقوى قبل العلم، أم العلم قبل التقوى؟ وكيف تكون التقوى بدون علم، بناء على ما جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره، جزاكم الله خيرًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والخشية قوة الخوف من الله -تبارك وتعالى- لكمال عظمته وسلطانه، وهذا لا يتأتى إلا من شخص عالم بالله وأسمائه وصفاته، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: ما يخشاه الخشية التامة إلا العلماء، والمراد: العلماء بالله، وأسمائه وصفاته، وأحكامه، وليس العلماء بطبقات الأرض، وأجواء السماء، وعلم الفيزياء وما أشبه ذلك، فإن هؤلاء علومهم لا تؤثر عليهم بالنسبة لخشية الله، ولهذا نجد من هؤلاء العلماء الكبار الذين هم رؤوس في الكفر والعياذ بالله، لكن المراد بالعلماء هنا: العلماء بالله، وأسمائه وصفاته، وأحكامه، فهم الذين يخشون الله تعالى حق خشيته، والخشية مبنية على العلم، فكلما كان الإنسان أعلم بالله كان أشد خشية لله، وأعظم محبة له -تبارك وتعالى-.

وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فإن كثيرًا من الناس يظنون أن قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مبني على قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وليس كذلك، بل الأمر بتقوى الله أمر مستقل، ولا يمكن تقوى الله إلا بالعلم بالله، وقد ترجم البخاري رحمه الله على هذا المعنى في قوله في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل، ثم استدل لذلك بقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وعلى هذا فلا تعارض بين الآيتين، لأن قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر مستقل

بالتقوى، ولا يمكن أن يتقي الإنسان ربه إلا إذا علم ما يتقيه، أما قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، فهي جملة مستأنفة تفيد أن العلم الذي نناله إنما هو من عند الله وحده، فلا علم لنا إلا ما علمنا الله -تبارك وتعالى-، وتعليم الله إيانا نوعان: غريزي وكَسْبِي.

فالغريزي: هو ما يؤتيه الله تعالى للعبد من العلم الذي لا يحتاج إلى تَعَلُّمٍ، أرأيت الصبي تلده أمه ويهتدي كيف يتناول ثديها ليرضع منه دون أن يعلمه أحد، وكذلك البهائم تعلم ما ينفعها مما يضرها دون أن يسبق لها تعليم من أحد.

وأما التعليم الْكَسْبِي فهو: ما يورثه الله العبد بتعلمه بالعلم وتعاطي أسبابه، حيث يتعلم على المشايخ ومن بطون الكتب، ومن أصوات أشرطة التسجيل وغير ذلك، ولهذا لما سألوا النبي ﷺ عن الروح ما هي؟ مع أنها مادة الحياة ولا حياة للبدن إلا بها، أمر الله نبيه أن يقول: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهذا يتضمن توبيخهم عن السؤال عن الروح، كأنه قال: الروح من أمر الله، وما بقي عليكم أن تسألوا عن شيء إلا عن الروح؟ ما بقي عليكم من العلوم أن تدركوه إلا علم الروح؟ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

والحاصل أن قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] تفيد أنه من كان بالله أعلم كان له أخشى، وأما آية البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فليس فيها أن التقوى مقدمة على العلم، لأنه لا يمكن تقوى إلا بعلم ما يتقى، وأن الجملة ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ليس لها ارتباط بما قبلها.

***

(٨٨٥) يقول السائل: ما تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية حينما نزلت على الصحابة ﷺ شق عليهم ذلك، وجاءوا إلى النبي ﷺ جَاثِينَ على رُكَبِهِمْ يَرْجون التخفيف، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا**»(١)، فقالوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. فخفف الله عنهم وأنزل قوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فرفع الله عنهم التكليف إلا فيما كان تحت طاقتهم، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم**»(٢)، فحديث النفس مهما بلغ من الفُحْش والقُبْح لا يضر، ما دام الإنسان كارهًا له غير راكن إليه، فإنه لا يضره، لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

***

(٨٨٦) يقول السائل: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وبين معنى الحديث الشريف الذي هو: «إن الله تجاوز عن أمة محمدٍ ﷺ ما حدثت به أنفسها، ما لم تفعله أو تتكلم به»؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الذي أشرت إليه هو في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فما كان بوسع الإنسان فإنه مؤاخذٌ به، وما كان ليس بوسعه فهو غير

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، رقم (١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب الخطإ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (٢٥٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، رقم (١٢٧).

مؤاخذ به. فقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] جاءت الآية بعده: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالخواطر التي تَرِدُ على المرء ولا يركن إليها ولا يطمئن لها، وإنما هو حديث نفسٍ عابر لا يركن إليه ولا يأخذ به، هذا لا يؤاخذ به، لأنه فوق طاقة المرء.

أما إذا كانت الهواجس التي تَرِدُ على القلب يطمئن إليها الإنسان ويأخذ بها فإنه عمل يؤاخذ به العبد، ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»(١)، وأخبر -عليه الصلاة والسلام- عن الرجل يقاتل أخاه المسلم، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**». قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(٢).

فالمهم أن ما يَرِدُ على القلب إذا اطمأن إليه الإنسان وأخذ به واعتبره فإنه يؤاخذ عليه، أما الْهَوَاجِسُ التي تطرأ ويحدِّث الإنسان نفسه فيها ولكنه لا يركن إليها فلا يؤاخذ بها، مثل: لو كان يحدث الإنسان نفسه هل يطلق زوجته أو لا؟ نقول: إن الزوجة لا تطلق، حتى لو نوى أن يطلقها فإنها لا تطلق، لأن الطلاق لا يكون إلا بالقول، أو بما يدل عليه من الفعل كالكتابة، ولا يؤاخذ بهذا.

وكذلك لو نوى أن يتصدق بهذه الدراهم وعزم، ولكنه ما دفعها إلى الآن، فإنه لا يلزمه التصدق بها، سواءٌ نواها لشخصٍ معين أو نواها صدقةً ولم يُعَيِّنْ من يتصدق بها عليه، فإنه لا تلزمه الصدقة.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، رقم (٣١)، مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم (٢٨٨٨).

(٨٨٧) يقول السائل: ما هي فوائد قراءة آية الكرسي، وآخر آية في سورة البقرة عند الخروج من البيت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس في هذا سُنَّة حتى نقول: ما هي الفوائد؟ فلا يُسَنُّ للإنسان إذا خرج من بيته أن يقرأ آية الكرسي، أو الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة.

obeikandl.com

❁ سورة آل عمران ❁

(٨٨٨) يقول السائل: ما تفسير الآية الكريمة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]؟ مع التمثيل لكلٍ من الآيات المحكمات والمتشابهات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، قَسَّمَ الله -تبارك وتعالى- القرآن الكريم إلى قسمين: محكم ومتشابه.

والمراد بالمحكم هنا: الواضح البيِّنُ الذي لا يخفى على أحدٍ معناه، مثل: السماء، والأرض، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب وما أشبهها، هذا محكم، لأنه لا اشتباه في معناه.

وأما المتشابهات: فهي الآيات التي يشتبه معناها ويخفى على أكثر الناس، ولا يعرفها إلا الراسخون في العلم، مثل بعض الآيات المجملة التي ليس فيها تفصيل، فَتُفَصِّلُهَا السُّنَّة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] فإن إقامة الصلاة غير معلومة، والمعلوم من هذه الآية وجوب إقامة الصلاة فقط، لكن كيف الإقامة؟ هذا يعرف من دليل آخر. والحكمة من أن القرآن نزل على هذين الوجهين هي الابتلاء والامتحان، لأن من في قلبه زَيْغٌ يَتَّبِعُ المتشابه فيبقى في حيرةٍ من أمره، وأما الراسخون في العلم فإنهم يؤمنون به كله متشابهه ومحكمه، ويعلمون أنه من عند الله، وأنه لا تناقض فيه.

ومن أمثلة المتشابه قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] مع قوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢]، فيأتي الإنسان ويقول: هذا متناقض، كيف يقولون: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ثم يقال عنهم: إنهم ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢]؟ فيضرب الآيات بعضها ببعض لِيُوقِعَ الناس في حيرة، لكن الراسخين في العلم

يقولون: كله من عند الله، ولا تناقض في كلام الله، ويقولون: إن يوم القيامة يومٌ مقداره خمسون ألف سنة، فتتغير الأحوال وتتبدل، فتنزل هذه على حال، وهذه على حال.

***

(٨٨٩) تقول السائلة ف. ق. ط: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية في سورة آل عمران، وقد بَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أنه أنزل الكتاب على نبيه ﷺ، وجعله على نوعين، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فجعله -سبحانه وتعالى- على قسمين أو على نوعين: نوع مُحْكَمٌ واضح المعنى لا اختلاف فيه ولا احتمال، وهذا هو ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: مرجع الكتاب الذي يرجع إليه، بحيث يحمل المتشابه على المحكم، ليكون جميعه محكمًا، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ وإنما أنزله الله تعالى امتحانًا للعباد، حيث يعلم -سبحانه وتعالى- من يريد الفتنة وصَدِّ الناس عن دينهم والتشكيك في كتاب الله، ومن كان مؤمنًا خالصًا يعلم أن القرآن كله من الله، وأنه لا تناقض فيه ولا اختلاف.

يقول الله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي: متشابهات في المعنى، ليست صريحة واضحة، بل تحتاج إلى تأمل ونظر، وحمل لها على ما كان واضحًا بينًا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: مَيْل عن الحق واتباع للهوى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي: يتابعونه ويتتبعونه حتى يجعلوا ذلك وسيلة إلى الطعن في كتاب الله -عز وجل-، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ يعني: صَدَّ الناس عن دينهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] يعني: أن الذين صدوا المؤمنين عن دينهم وفتنوهم.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: طلب تحريف القرآن وتَغْيِيرِهِ عن مكانه وعمَّا أراد الله به، يقول الله -عز وجل-: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ والتأويل هنا اختلف فيه أهل العلم، بناء على اختلاف الطريقتين وصلًا ووقفًا، فإن في الآية طريقتين: طريقة الوصل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ فيكون المراد بالتأويل هنا التفسير، ولهذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله**»[1]، أي: يعلمون تفسيره، وكان ابن عباس رضي الله عنهما من أعلم الناس بتفسير كلام الله.

أما الطريقة الثانية فهي طريقة الوقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وعلى هذا فيكون المراد بالتأويل العاقبة التي يؤول إليها ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، فإن حقائق هذه الأمور لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-، وعليه فيكون الوقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وهذا هو ما ذَهَبَ إليه أكثر السلف في القراءة، ويكون معنى قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أن الراسخين في العلم يؤمنون بالمحكم والمتشابه ويقولون: إنه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وإذا كان كُلٌّ من عند الله فإنه لا يمكن أن يكون فيه تناقض أو تعارض، لقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ما يتذكر ويَتَّعِظُ بآيات الله إلا من كان ذا عقل يَحْجُزُهُ عن المحرمات واتباع الشبهات والشهوات.

***

(١) انظر قوله في: (تفسير الطبري) (٣/ ١٨٣).

(٨٩٠) يقول السائل: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية، وفي آيةٍ أخرى قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فهل المقصود بالبنين في الآية الأولى والبنون في الآية الثانية الأولاد عامة، أم الذكور خاصة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المراد بـ ﴿وَالْبَنُونَ﴾ في هاتين الآيتين -وفي غيرهما أيضًا من كلام العرب عامة-: الذكور فقط، لأنه يقال: بنون ويقال: بنات، فالبنات هم نوع من البشر، والبنون هم النوع الآخر من البشر، فهما نوعان من البشر، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، ومن المعلوم أن تَعَلُّقَ الإنسان بالبنين أكثر من تعلقه بالبنات، ومع هذا فإنه يجب على الإنسان أن يَعْدِلَ بين أولاده الذكور والإناث، كما قال النبي ﷺ: **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**[(١)].

وبهذه المناسبة أود أن أُبيِّنَ أنه يجب على الإنسان في عطية أولاده أن يعدل بينهم، فيعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، فإذا أعطى الذكر مائة ريالٍ مثلًا فليعطِ الأنثى خمسين ريالًا، هذا بالنسبة للعطايا التي هي تبرع محض.

وأما النفقات فالعدل فيها أن ينفق على كل واحدٍ منهم بما يحتاج إليه، وهذا يختلف باختلاف حال الولد، فإذا كان لديك أولادٌ قد بلغوا سن الزواج واحتاجوا إليه وجب عليك أن تزوجهم، إذا كان لديك قدرةٌ على ذلك، ولا تعطِ الآخرين الذين لم يبلغوا سن الزواج مثلما أعطيت هؤلاء في الزواج، لأن هذا من باب دفع الحاجة. وكذلك لو مرض أحد الأبناء واحتاج إلى علاج وأنفقت عليه في علاجه، فإنه لا يلزمك أن تعطي الآخرين مثلما أنفقت على هذا المريض، لأن هذا من باب دفع الحاجة.

فالمهم أن الواجب على الإنسان أن يعدل بين أولاده في عطية التبرع، وأما ما يراد به دفع الحاجة فإن كل واحدٍ منهم تعطيه ما يحتاج إليه.

***

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة، رقم (٢٥٨٧)، ومسلم: كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم (١٦٢٣).

(٨٩١) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعنى أن هؤلاء استهموا أيهم يَكْفُلُ مريم، واستهموا بالأقلام، والكيفية لا أعرفها، فهم استهموا على كيفية مُعَيَّنَةٍ أيهم غلب تكون عنده مريم.

***

(٨٩٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الملأ الذين كفروا بعيسى بن مريم عليه السلام من بني إسرائيل أرادوا أن يقتلوه ويصلبوه، فحضروا إليه، فألقى الله تعالى شَبَهَهُ على رجل منهم، ورفع عيسى إليه إلى السماء، فقتلوا هذا الرجل الذي ألقي شبه عيسى عليه وصلبوه، وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وقد أبطل الله دعواهم تلك في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم حين جاءوا إلى عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- ليقتلوه، فألقى الله شبهه على رجل منهم فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنهم أدركوا مرادهم، فهذا من مكر الله تعالى بهم، والمكر هو الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، وهو -أعني: المكر- صفة مدح إذا كان واقعًا موقعه وفي محله، ولهذا يذكره الله -عز وجل- واصفًا نفسه به في مقابلة من يمكرون بالله وبرسله، فهنا قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فالمكر صفة مدح في محله، لأنه يدل على القوة، والعظمة، والإحاطة بالخصم، وعلى ضعف الخصم، وعدم إدراكه ما يريده به خصمه، بخلاف الخيانة، فإن الخيانة صفة ذم مطلقًا، ولهذا لم يصف الله بها نفسه حتى في مقابلة من خانوا رسول الله ﷺ أو أرادوا خيانته، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ

﴿مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١] ولم يقل: فقد خانوا الله فخانهم، بل قال: ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١].

وعلى هذا فلو قال قائل: هل يصح أن يوصف الله بالمكر؟ فالجواب: أن وصف الله بالمكر على سبيل الإطلاق لا يجوز، وأما وصف الله بالمكر في موضعه في مقابلة أولئك الذين يمكرون به وبرسله فإن هذا جائز، لأنه في هذه الحال يكون صفة كمال.

وبهذا يعلم أن ما يمكن من الصفات بالنسبة إلى الله -عز وجل- على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا يجوز أن يوصف الله به مطلقًا: كصفات النقص والعيب، مثل: العجز، والتعب، والجهل، والنسيان وما أشبهها، فهذا لا يوصف الله به بكل حال.

القسم الثاني: يوصف الله به بكل حال: وهو ما كان صفة كمال مطلقًا، ومع ذلك فإنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه.

والقسم الثالث: ما يوصف الله به في حال دون حال: وهو ما كان كمالًا في حال دون حال، فيوصف الله به حين يكون كمالًا، ولا يوصف الله به حين يكون نقصًا، وذلك مثل: المكر، والكيد، والخداع، والاستهزاء وما أشبه ذلك.

***

(٨٩٣) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة مُبَيِّنًا حال رسول الله ﷺ: إنه -عليه الصلاة والسلام- رسول قد خلت من قبله الرسل، أي: مضت من قبله الرسل، فبلغوا الرسالة ثم كان مآلهم إلى الفناء،

لأن كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. قد خلت من قبله الرسل ومضت في إبلاغ دعوتها إلى الله -عز وجل-، ثم ماتوا كسائر البشر، ثم ينكر الله -عز وجل- على من تغيرت حاله لو مات النبي ﷺ أو قتل، فيقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] أي: ارتددتم عن الإسلام إلى الكفر، إلى الوراء بعد أن تقدمتم إلى الإسلام؟

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فيكفر بعد ردته فإنه لن يضر الله شيئًا، لأن الله -سبحانه وتعالى- غني عن عباده، ولم يأمرهم -سبحانه وتعالى- بعبادته إلا لمصلحتهم، لا لمصلحته هو أو لمنفعته، فإنهم لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] فمن ينقلب على عقبيه بعد إسلامه فإنه لن يضر الله شيئًا وإنما يضر نفسه.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] أي: القائمين بطاعته، أي: الذين قاموا بحقيقة الشكر، لأن حقيقة الشكر القيام بطاعة المنعم حيث ما تعلقت، بالقلب أو باللسان أو بالجوارح.

وهذه الآية نزلت حين صاح الشيطان في المسلمين في غزوة أحد: أن النبي ﷺ قتل، فضعفت نفوس بعض المسلمين من أجل هذه الشائعة الكاذبة الخاطئة، فأنزل الله تعالى هذه الآية إشارة إلى أنه يجب على المسلمين -وإن مات نبيهم أو قتل- أن يَذُودُوا عن شريعته، وعن سنته، في حياته وبعد مماته.

وفي هذه الآية دليل على أن الكفر هو التأخر والرجعية والانقلاب على العقب، وأما الإسلام فإنه التقدم والمضي إلى الإمام فيما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، وبهذا عرف سبب نزول هذه الآية الكريمة وعرف المراد بها، وأن الواجب على المسلمين أن يكونوا منتصرين لدينهم، سواء كان ذلك في حياة نبيهم أو بعد مماته -صلوات الله وسلامه عليه-.

***

(٨٩٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؟ **والسؤال: ما الفرق بين القلب والصدر؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الظاهر أنه لا فرق بينهما، لكن القرآن الكريم جاء على أوسع ما يكون من البلاغة، فيعبر عن المعنى الواحد بألفاظٍ مختلفة حسب ما تقتضيه البلاغة في اللغة العربية، لأن القرآن كما قال الله -عز وجل-: نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

obeikandl.com

❁ سورة النساء ❁

(٨٩٥) تقول السائلة م. ص. هـ: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]؟ وما علاقة اليتامى بالنساء في هذه الآية، وجزاكم الله خيرًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية نزلت حين كان الناس لا يعدلون في النساء اليتامى، بل يحبس الرجل اليتيمة، إما لابنه إن كانت لا تحل له، وإما لنفسه إن كانت تحل له، ولا يزوجها من يخطبها من الأَكْفَاءِ، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ أي: إن خفتم عدم العدل في اليتامى فالنساء سواهن كثير: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ وبهذا عرفنا صلة آخر الآية بأولها.

***

(٨٩٦) يقول السائل: ما معنى هاتين الآيتين الكريمتين: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، والآية الثانية: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الآية الأولى فمعناها: أن لا تعقدوا النكاح على من عقد عليها النكاح آباؤكم، من الأب أب الصلب أو الأجداد الذين فوقه، سواء كانوا من قِبَلِ الأم أو من قِبَلِ الأب، فلا يجوز للرجل أن يتزوج من عقد عليها أبوه أو جده، سواء كان جده من قِبَلِ الأب أو من قِبَلِ الأم، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني: لكن ما قد سلف في الجاهلية من هذا الفعل فإنه معفو عنه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ فمعناه: أن الله حرَّمَ أن نجمع بين الأختين من نسب أو رضاع ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني: لكن ما قد سلف لكم في الجاهلية فلا حرج عليكم فيه.

والجمع بين الأختين مُحَرَّمٌ، فإن تزوجهما في عقد واحد، بأن قال أبوهما:

زوجتك ابْنَتِيَّ، فكلا العقدين باطل، وإن سبق أحدهما الآخر فالسابق هو الصحيح، فلو زوج ابنته رجلًا في أول النهار، ثم زَوَّجَهُ أختها في آخر النهار مع بقاء الأولى، فنكاح الثانية باطل.

وكذلك لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها، فهؤلاء ثلاث لا يجمع بينهن: الأختان، والعمة وبنت أخيها، والخالة وبنت أختها، وما عدا ذلك من الأقارب فإنه يجوز الجمع بينهن، فيجوز الجمع بين ابنتي العم، وبين ابنتي الخالة، لكن لا ينبغي أن يجمع بين القريبات، لأن ذلك قد يفضي إلى قطيعة الرحم بينهما، إذ إن المعروف عادة أن الضرة تَغَارُ من ضرتها، ويحصل بينهما عداوة وبغضاء.

***

(٨٩٧) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢] إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: في هذه الآية الكريمة بَيَّنَ الله -عز وجل- المحرمات في النكاح، وأسباب التحريم يعود في هاتين الآيتين إلى ثلاثة أشياء: النسب، والرضاع، والْمُصَاهَرِة، فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ يفيد أنه لا يجوز للإنسان أن يتزوج من تزوجها أبوه أو جده وإن عَلَا، سواء كان الجد من قِبَلِ الأم أو من قِبَلِ الأب، وسواء دخل بالمرأة أم لم يدخل بها، فإذا عقد الرجل على امرأة عقدًا صحيحًا حرمت على أبنائه، وأبناء أبنائه، وأبناء بناته وإن نزلوا.

وفي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ [النساء: ٢٣] بيان ما يحرم بالنسب، وهنّ سبع: الأمهات وإن علونَ من الجدات، من قِبَلِ الأب أو من قِبَلِ الأم، والبنات وإن نزلن من بنات الابن، وبنات البنات وإن نَزَلْن.

﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ سواء كن شقيقات أم لأب أم لأم.

﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ وهن أخوات الآباء و الأجداد وإن عَلَوْنَ، سواء كنَّ عمات شقيقات أو عمات لأب أو عمات لأم، فالعمات الشقيقات أخوات لأبيك من أمه وأبيه، والعمات لأب أخواته من أبيه، والعمات لأم أخواته من أمه، والخالات هن أخوات الأم والجدة وإن عَلَتْ، سواء كن شقيقات أو لأب أو لأم، فالخالات الشقيقات أخوات أمك من أمها وأبيها، والخالات لأب أخواتها من أبيها، والخالات لأم أخواتها من أمها.

واعلم أن كل خالة لشخص، أو كل عمة لشخص فهي عمة له ولمن تفرع منه، وخالة له ولمن تفرع منه، فعمة أبيك عمة لك، وخالة أبيك خالة لك، وكذلك عمة أمك عمة لك، وخالة أمك خالة لك.

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ وإن نزلنَ، سواء كان الأخ شقيقًا أو لأب أو لأم، فبنت أخيك الشقيق أو لأب أو لأم حرام عليك، وبنت بنتها حرام عليك، وبنت ابنها حرام عليك، وإن نَزَلْن، وكذلك نقول في بنات الأخت.

هؤلاء سبع من النسب: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾، وإن شئت حصرها فقل: يحرم على الإنسان من النساء الأصول وإن عَلَوْن، والفروع وإن نَزَلْن، وفروع الأب والأم وإن نزلن، وفروع الجد والجدة من صلبهم خاصة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣] إشارة إلى ما يحرم بالرضاعة، وقد قال النبي ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»(١)، فما يحرم من النسب يحرم نظيره من الرضاع، وهنّ: الأمهات، والبنات، والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب، رقم (٢٦٤٥)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم (١٤٤٧).

الأخ، وبنات الأخت، فنظير هؤلاء من الرضاع محرم، لقول النبي ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ».

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، فهؤلاء الثلاث محرمات بالصهر.

فقوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ يعني: أنه يحرم على الرجل أم زوجته وجدتها وإن عَلَتْ، سواء من قِبَلِ الأب أم من قِبَلِ الأم، وتحرم عليه بمجرد العقد، فإذا عقد الرجل على امرأة حرمت عليه أمها، وصار من محارمها وإن لم يدخل بها، يعني: وإن لم يدخل بالبنت، فلو قدر أنها ماتت البنت أو طلقها فإن أمها تكون مَحْرَمًا له، ولو قدر أنه تأخر دخوله بهذه المرأة التي تزوجها فإن أمها تكون مَحْرَمًا له، تكشف له ويسافر بها ويخلو بها، ولا حرج عليه، لأن أم الزوجة وجداتها يَحْرُمْنَ بمجرد العقد، لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ المراد بذلك بنات الزوجة وبنات أولادها وإن نَزَلْنَ، فمتى تزوج الإنسان امرأة فإن بناتها من غيره حرام عليه ومن محارمه، وكذلك بنات أولادها من ذكور وإناث، أي: إناث الأولاد، سواء كان الأولاد ذكورًا أم إناثًا، فبنت ابنها وبنت بنتها كبنتها، ولكن الله -عز وجل- اشْتَرَطَ هنا شرطين، قال: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فاشْتَرَطَ في تحريم الربيبة أن تكون في حجر الإنسان، واشْتَرَطَ شرطًا آخر أن يكون دخل بأمها أي: جامعها.

أما الشرط الأول: فهو عند جمهور أهل العلم شرط أَغْلَبِيٌّ لا مفهوم له، ولهذا قالوا: إن بنت الزوجة المدخول بها حرام على زوجها الذي دخل بها وإن لم تكن في حجره.

وأما الشرط الثاني: وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فهو شرط مقصود، ولهذا ذكر الله تعالى مفهومه ولم يذكر مفهوم قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ فدل هذا على أن قوله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ لا يعتبر مفهومه، أما ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فقد اعتبر الله مفهومه فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ فالمراد بذلك زوجة الابن وإن نزل، حرام على أبيه بمجرد العقد، وزوجة ابن الابن حرام على جده بمجرد العقد.

ولهذا لو عقد شخص على امرأة عقدًا صحيحًا ثم طلقها في الحال كانت مُحَرَّمًا لأبيه وجده وإن علا، لعموم قوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ والمرأة تكون حليلة لزوجها بمجرد العقد.

فهذه ثلاثة أسباب توجب التحريم: النسب، والرضاع، والمصاهرة. فالمحرمات بالنسب سبع، والمحرمات بالرضاع نظير المحرمات بالنسب، لقول النبي ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**».

والمحرمات بالصِّهْرِ أربع: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] والرابعة قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣] فهذا التحريم ليس تحريمًا مؤبَّدًا، لأن التحريم هو الجمع، فليست أخت الزوجة، محرمة على الزوج ولكن الْمُحَرَّمُ عليه أن يجمع بينها وبين أختها، ولهذا قال: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ ولم يقل: وأخوات نسائكم، فإذا فارق الرجل امرأته فرقة بائنة بأن تمت العدة فله أن يتزوج أختها، لأن المحرم الجمع.

وكما يحرم الجمع بين الأختين فإنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، كما ثبت ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه «نَهَى أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا، أَوْ خَالَتِهَا»(١).

فاللاتي يحرم الجمع بينهن ثلاث: الأختان، والمرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

وأما بنات العم وبنات الخال، يعني: أن تكون امرأة بنت عم لأخرى، أو بنت خال لأخرى، فإنه يجوز الجمع بينهما.

***

(٨٩٨) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ [النساء: ٤٣] الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: في هذه الآية يخاطب الله تعالى المؤمنين بوصف الإيمان فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وخاطبهم بهذا الوصف لِحَثِّهِمْ على تلقي ما يأتي إليهم من أوامر أو نواهٍ، ولهذا يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فارع لها سمعك، فإما خيرًا تؤمر به، وإما شرًّا تنهى عنه.

فينادي الله -سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين ويقول لهم: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ وهذا قبل تحريم الخمر، فقد كان الناس في أول الأمر يشربون الخمر ثم حُرِّمَتْ، وكان الرجل يشرب الخمر ثم يصلي، فيأتي بما يأتي به السكران من أقوال لا تَحِلُّ في الصلاة أو أفعال، فنهاهم أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، ونهاهم أيضًا أن يقربوا الصلاة وهم جنب إلا عابري سبيل،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، رقم (٥١١٠)، ومسلم: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، رقم (١٤٠٨).

وهذه الآية تنطبق تمامًا على المسجد، لأنه محل الصلاة، فلا يحل للمرء أن يبقى في المسجد و يمكث فيه وهو جنب، إلا أن يكون عابر سبيل، أي: إلا إذا كان مارًّا بالمسجد فإن ذلك لا بأس به، مثل: أن يدخل المسجد وهو على جنابة ليأخذ كتابًا له في المسجد، أو لِيَعْبُرَ من باب إلى باب أو ما أشبه ذلك، ورَخَّصَ كثير من أهل العلم للجنب إذا توضأ أن يمكث في المسجد، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾ أي غسل الجنابة وهو معروف.

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ يعني: إذا كان الإنسان مريضًا ولم يتمكن من الغُسل، أو كان مسافرًا ولم يجد ماءً فإنه يتيمم، أي: يَقْصِدَ أرضًا طيبة طاهرة، فيضرب يديه عليها ويمسح بهما وجهه وكفيه، وبذلك تتم طهارته، ويصلي بهذا التيمم كما يصلي بطهارة الماء تمامًا، حتى يجد الماء، فإذا وجد الماء عاد فتطهر به.

***

(٨٩٩) تقول السائلة: ما معنى قوله تعالى في آية القتل الخطأ: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [النساء: ٩٢]؟ أرشدونا كيف تصوم المرأة هذه الأيام.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: ليت هذه المرأة لم تمثل بالقتل، لأنه يمكن أن يلزم المرأة صيام شهرين متتابعين في غير القتل، ولكن قد يكون من المرأة قتل خطأ، فيما لو كان صَبِيُّهَا إلى جنبها في الفراش، ثم انقلبت عليه وهي نائمة فقتلته، ففي هذه الحال يجب عليها الكفارة لله -عز وجل-، ويجب على عَاقِلَتِهَا الدية لورثة هذا الطفل، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢].

والمرأة إذا لزمها صيام شهرين متتابعين وحاضت فإنها تفطر في حال الحيض، ثم إذا طهرت تستمر في الصيام ولا يبطل صيامها الأول، فمثلًا: إذا حاضت في الشهر الأول سبعة أيام، وفي الشهر الثاني سبعة أيام، لزمها أن تضيف إلى الشهرين اللذين تخللهما الحيض أربعة عشر يومًا، ليتم صوم الشهرين المتتابعين.

وكذلك يقال في كفارة اليمين: لو أن المرأة لزمتها كفارة يمين، ولم تجد كفارة الإطعام إطعام عشرة مساكين، أو الكسوة، أو تحرير الرقبة، فإنها يلزمها أن تصوم ثلاثة أيام متتابعة، فإذا صامت أول يوم ثم حاضت فإنها تفطر، وإذا طهرت صامت يومين فقط، بناءً على اليوم الأول.

وهكذا يقال في من انقطع تتابعه لعذر آخر كمرض أو سفر، فإنه إذا زال عذره يبني على ما سبق.

***

(٩٠٠) يقول السائل: يقول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] **إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** [النساء: ١٥٩]. **ويقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [المائدة: ١١٧]**، فما معنى هاتين الآيتين عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام؟ وهل توفاه الله تعالى أو ما زال حيًّا؟ وإذا كان حيًّا فما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾** [المائدة: ١١٧].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآيات في عيسى بن مريم عليه السلام، يُبَيِّنُ الله تعالى فيها كذب دعوى اليهود في قولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، فإن اليهود ادَّعوا ذلك، ولكن الله أكذبهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ

﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: إن الله ألقى شَبَهَه على رجل كان هناك، فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه، وادعوا أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم وصلبوه، ولكن الله تعالى كذَّبَهُم، ثم قال مؤكدًا ذلك: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]، فعيسى بن مريم لم يقتل ولم يمت، بل رفعه إليه الله -سبحانه وتعالى- حيًّا، على القول الراجح من أقوال أهل العلم أنه رفع حيًا.

أما أن اليهود لم يقتلوه فإنه نص القرآن، ومن ادعى أنهم قتلوه فقد كذَّب القرآن، ومن كذَّب القرآن فهو كافر بالله -عز وجل-، فإن الله يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: قولًا متيقنًا أنهم لم يقتلوا المسيح عيسى بن مريم.

يبقى النظر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] وما أشبه ذلك، فكيف يجمع بين هذه الآيات؟

والجواب: أن الجمع بينها هو أن المراد بالوفاة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧] إما القبض، قبض الشيء يسمى توفيًّا، ومنه قولهم: تَوَفَّى حقه، أي: قَبَضَهُ وافيًا كاملًا. وإما أن يراد بالوفاة النوم، فإن النوم يسمى وفاة، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠] ويكون معنى ذلك أن الله تعالى ألقى عليه النوم ثم رفعه من الأرض نائمًا، وليس المراد بالوفاة وفاة الموت، لأن عيسى -عليه الصلاة والسلام- لم يكن قد مات الآن، وسينزل في آخر الزمان، ينزل إلى الأرض فيحكم بين الناس بشريعة النبي ﷺ، ولا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وبهذا تبين أنه لا منافاة بين قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وبين قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

يقول السائل: فضيلة الشيخ: يعني نزول النبي عيسى عليه السلام إلى الأرض وحكمه بشريعة الإسلام، هل من كان غير مؤمن بشريعة الإسلام قبل نزول عيسى عليه السلام، ثم آمن به بعد نزوله، هل يعد هذا مؤمنًا حقيقيًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم يعد مؤمنًا حقيقة.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: يعني: لا تنتهي التوبة إلى هذا الوقت؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ما تنتهي التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

***

(٩٠١) **يقول السائل: في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] هل تفهم الآية على ظاهرها، أم أن هناك معنى آخر؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تُفْهَمُ هذه الآية وغيرها من الآيات على ظاهرها اللائق بالله -عز وجل-، فمن هذه الآية نفهم أن الله -سبحانه وتعالى- كَلَّمَ موسى عليه السلام، وقد بَيَّنَ في آية أخرى أنه كلمه بصوت مسموع فقال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] والنداء يكون بالصوت العالي من بعيد، والمناجاة بالصوت الخفي القريب.

ومن هنا نعلم أن الله -سبحانه وتعالى- يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، وأن كلامه بحروف وأصوات مسموعة، ولكن يجب أن نعلم بأن كلام الله -سبحانه وتعالى- لا يشبه كلام الآدميين بأصواتهم، لأن الله يقول في محكم كتابه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويقول بصيغة الاستفهام المشعر بالتحدي والنفي: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]؟ يعني: ليس له شبيه ولا نظير، ولا أحد يساويه في جميع صفات الكمال.

وهذه القاعدة -أعني: الأخذ بظاهر القرآن- هي الواجبة، لأن الله تعالى خاطبنا بالقرآن وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]،

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] آيتان من كتاب الله بَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أنه أنزل القرآن وجعله باللسان العربي من أجل أن نَفْهَمَهُ ونَعْقِلَ معناه، وعلى هذا فيجب علينا الإيمان بظاهره حسب ما يقتضيه اللسان العربي، إلا أن يكون هناك دليل شرعي يوجب صرفه عن مقتضى اللغة إلى مقتضى الشرع، فإنه يجب اتباع ما دل عليه الشرع في ذلك، وما حصل الضلال بالتأويلات البعيدة إلا بسبب تحكيم الناس عقولهم فيما يجب لله، وما يجب عليه، وما يمتنع عليه، فحصل بذلك من تأويل نصوص الكتاب والسُّنَّة في أسماء الله وصفاته ما هو معلوم، وما هو متضمن للخروج عما كان عليه السلف الصالح ﷺ في إجراء كلام الله -سبحانه وتعالى- على ظاهره وحقيقته على الوجه الذي يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف.

obeikandl.com

❁ سورة المائدة ❁

(٩٠٢) يقول السائل ع. ع: أرجو من فضيلة الشيخ تفسير هذه الآية من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله -عز وجل-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، والمحرِّم هو الله -عز وجل-، وليس التحريم عائدًا إلينا، ولا التحليل عائدًا إلينا، ولا الحكم بالكفر عائدًا إلينا، ولا الحكم بالإيمان عائدًا إلينا، كل ذلك إلى الله -عز وجل- وحده، يقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، وإنما بُنِيَ الفعل لما لم يسمَّ فاعله لأنه معلوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ومن المعلوم أن الخالق هو الله -عز وجل-، فهنا ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، ومن المعلوم أن الْمُحَرِّمُ هو الله -عز وجل-.

والميتة كل ما لم يذكَّ ذكاةً شرعية، بأن مات حتف أنفه، أو ذبح على غير الطريقة الإسلامية فهو ميتة، ويستثنى من ذلك الجراد فميتته حلال، وكذلك السمك على جميع أنواعه فإنه حلال، قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦]، وقال النبي ﷺ فيما يروى عنه: «**أحلت لنا ميتتان ودَمَانِ: فأما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدَّمَان: فالكبد، والطحال**»(١).

وقوله: الدم يريد بذلك الدم المسفوح، كما قيدته الآية الثانية: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وأما الدم الذي يبقى في العرق بعد التذكية فإنه حلالٌ طاهر، حتى لو ظهرت حمرته في الإناء فإنه حلالٌ طاهر، لأنه ليس الدم المسفوح.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٧)، وابن ماجه: كتاب الصيد، باب صيد الحيتان، والجراد، رقم (٣٢١٨).

﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ وهو حيوانٌ معروفٌ خبيث، معروفٌ بأكل العذرة -أي: أكل الغائط-، وفيه أيضًا دودة شريطية مؤثرة.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾، أي: ما سُمِّي عليه غير اسم الله، بأن يقال: باسم المسيح، باسم موسى، باسم محمد، باسم جبريل وما أشبه ذلك، هذا أيضًا محرم لا يحل أكله.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي انخنقت، إما بشد الحبل على رقبتها حتى ماتت، أو بإغلاق الحجرة عليها وتسليط الدخان، أو ما أشبهه عليها.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي المضروبة بعصًا ونحوه حتى تموت.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي تَتَرَدَّى من جبل من فوق، أو من جدار، أو ما أشبه ذلك فتموت.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي ناطحت أخرى من البهائم فماتت.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي ما أكله الذئب أو نحوه.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ مستثنى من قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ فهذه لا شيء، إذا أدركتها حية وذكيتها فهي حلال.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي: ما ذبح على الأصنام، أي: ذبح لصنم، ولو ذُكِرَ اسم الله عليه، فإنه حرام. هذا معنى الآية الكريمة.

***

(٩٠٣) يقول السائل: في الآية الكريمة من سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]. ما علاقة ذلك بالدم الذي ينقل من شخصٍ إلى آخر، وهل هناك إثمٌ في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم كانوا في الجاهلية يأكلون الدم، إذا كان الإنسان مسافرًا وجاع جوعًا ليس فيه اضطرار فَصَدَ عِرْقَ ناقته وشرب منه، فبَيَّنَ الله -سبحانه وتعالى- أنه حرم علينا هذا، لأنه رجس نجس، ولكن هل

يشمل ذلك نقل دم من شخصٍ لآخر؟ ظاهر الآية الكريمة العموم، وعليه فلا يجوز أن ينقل دم من شخص إلى آخر إلا إذا اضطر المريض إلى الدم، فإنه ينقل إليه، بشرط أن يكون المنقول منه لا يتضرر بسحب الدم منه، فإن كان يتضرر فإنه لا يجوز أن نسحبه منه، فنقل الدم من شخصٍ لآخر يجوز بشرطين:

الشرط الأول: اضطرار المنقول إليه.

الشرط الثاني: انتفاء الضرر عن المنقول عنه.

ونزيد شرطًا ثالثًا، وهو: أن ينتفع المنقول إليه بهذا الدم، أما إذا كان لا ينتفع فلا فائدة من نقله إليه.

***

(٩٠٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية أن ابني آدم لصلبه -على رأي أكثر المفسرين- قرَّبا قربانًا إلى الله -عز وجل-، فَتَقَبَّلَ الله تعالى قربان واحد منهما ولم يتقبل قربان الآخر، والذي لم يتقبل منه حسد أخاه كيف يتقبل من أخيه ولم يتقبل منه؟ فهدده بالقتل، قال: لأقتلنك، حسدًا وبَغْيًا، فقال له أخوه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فكأنه يقول: لو اتقيت الله لقبل منك.

ثم بَيَّنَ له أخوه أنه لن يبسط يده إليه ليقتله، قال: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وفي النهاية طوعت له نفسه قتل أخيه، فقتل أخاه فأصبح من الخاسرين، وقلق ماذا يصنع بهذه الجنازة؟ فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض، يَحْرُثُهَا بمنقاره أو بأظفاره، من أجل أن يَرِيَهُ كيف يدفن أخاه، فقال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وأما ما ذكر في الإسرائيليات أن آدم يأتيه ذكر وأنثى في بطن، وذكر

وأنثى في بطن، فالذكر الذي في البطن الأول يأخذ الأنثى التي في البطن الثاني، والذكر الذي في البطن الثاني يأخذ الأنثى التي في البطن الأول. هكذا قيل في الإسرائيليات، ولا أصل له.

***

(٩٠٥) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]؟ وهل إذا تسبب شخص بموت شخص آخر، ثم تسبب بإحياء شخص آخر، كانت مثل هذه الكفارة لتلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: من كان سببًا في رفع قتل الظلم عن شخص مظلوم كان كمن أحيا الناس جميعًا، ومن قتلها بغير حق فكأنما قتل الناس جميعًا، هذا ما كَتَبَهُ الله على بني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ومن قتل نفسًا بغير حق، ثم أحيا نفسًا أخرى غير مستحقة للقتل، فإن الثانية لا تكون كفارة للأولى من حيث ما يجب في كفارة القتل، أما من جهة الثواب فأمره إلى الله -عز وجل-.

***

(٩٠٦) يقول السائل ع. م: أريد تفسيرًا لهذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يُبَيِّنُ الله تعالى في هذه الآية أن الإنسان الذي لا يحكم بما أنزل الله فإنه يكون كافرًا، وذلك لأنه أعرض عن كتاب الله وعما أنزله على رسله إلى حكم طاغوت مخالف لشريعة الله، ولكن هذا حسب النصوص مقيد بما إذا كان الحاكم بغير ما أنزل الله يعتقد أن الحكم أفضل من

حكم الله -عز وجل-، وأنفع للعباد وأولى بهم، وأن حكم الله غيرُ صالح بأن يحكم به بين العباد، فإذا كان على هذا الوجه صار كافرًا كفرًا مخرجًا عن الملة.

أما إذا حكم بغير ما حكم الله اتِّبَاعًا لهواه، أو قصدًا للإضرار بالمحكوم عليه، أو محاباةً للمحكوم له ونحو ذلك، فإن كفره يكون كفرًا دون كفر، ولا يخرج بذلك من الملة، لأنه لم يستبدل بحكم الله غيره زهدًا في حكم الله ورغبةً عنه واعتقادًا أن غيره أصلح، وإنما فعل هذا لأمرٍ في نفسه، إما لمحاباة قريب، أو لمدارة عدو، أو ما أشبه ذلك، المهم أن هذه المسألة تحتاج إلى تفصيل.

***

(٩٠٧) ما معنى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]؟ ومن هم الذين قالوا ذلك يا فضيلة الشيخ؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذين قالوا ذلك هم النصارى، قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، الله والمسيح بن مريم وأمه، فكفَّرهم الله تعالى بذلك، لأنهم جعلوا مع الله شريكًا، والله سبحانه تعالى إله واحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

***

(٩٠٨) ما معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يعجبني مثل هذا السؤال، أعني: السؤال عن آيات الله -عز وجل-، وذلك لأن القرآن الكريم لم ينزل لمجرد التعبد بتلاوته، بل نزل للتعبد بتلاوته، وتدبر آياته، وتفكر معانيه، وللعمل به، واسمع إلى قول الله -عز وجل-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فيعجبني ويسرني أن يعتني المسلمون بكتاب الله -عز وجل- حفظًا وفهمًا وعملًا، وأنا أشكر الأخ السائل على هذا وأمثاله.

فنقول في جوابه: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] هذه الآية نزلت مخاطبًا الله بها من كانوا في عهد النبوة الذي هو عهد التحليل والتحريم والإيجاب والحل، فإنه ربما يسأل الإنسان في عهد النبوة عن شيء لم يحرم فيحرم لمسألته، أو عن شيء ليس بواجب فيوجب من أجل مسألته، فلهذا قال الله -عز وجل- تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢]، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**إنما أهلك الذين مِن قبلكم كثرةُ مسائِلهم واختلافِهم على أنبيائهم**»[(١)].

أما بعد وفاة النبي ﷺ فليسأل الإنسان عن كل ما أشكل عليه، بشرط أن لا يكون هذا من التعمق في دين الله -عز وجل-، فإن كان من التعمق والتَّنَطُّعِ فإنه منهيٌّ عنه، لأن التعمق والتنطع لا يزيد الإنسان إلا شدة، فلو أراد الإنسان أن يسأل عن تفاصيل ما جاء عن اليوم الآخر، من الحساب، والعقاب، وغير ذلك وقال: كيف يعاقب الإنسان؟ هل هو قائم أو قاعد، وما أشبه ذلك من الأسئلة التي ليست محمودة، فهنا لا يسأل، أما شيء مفيد، ويريد أن يستفيد منه فليسأل عنه، ولا ينهى عن السؤال.

***

(٩٠٩) يقول السائل: ما معنى الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، رقم (٧٢٨٨)، ومسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج في العمر مرة، رقم (١٣٣٧).

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية الكريمة: أن الله -سبحانه وتعالى- أمر المؤمنين بأن يَعْتَنُوا بأنفسهم، ويقوموا بما أوجب الله عليهم، وأنهم إذا فعلوا ذلك فإنه لا يضرهم من ضَلَّ، ومما يلزم المؤمنين أن يدعوا إلى الله، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، فإذا دعوا إلى الله أو أمروا بالمعروف أو نهوا عن المنكر ولم يجبهم أحد إلى ذلك فإن ذلك لا يضرهم، لأن هؤلاء الذين دعوا أو أمروا أو نهوا إذا ضَلُّوا فإنما يضلون على أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾ [يونس: ١٠٨].

***

(٩١٠) يقول السائل: في القرآن الكريم مراجعة بين الله -سبحانه وتعالى- وعيسى بن مريم، عندما سأله -جل شأنه-: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية. هل هذه المراجعة حدثت في الدنيا قبل رفعه، أم ستحدث يوم القيامة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ظاهر سياق الآيات أن هذه المراجعة يوم القيامة، كما ستسمع: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المائدة: ١١٩]... إلخ. فقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾ يدل على أن هذه المراجعة التي كانت بين الله وبين عيسى بن مريم، كانت في الآخرة.

۞۞۞

❁ سورة الأنعام ❁

(٩١١) يقول السائل: ي. ج. إ: ما تفسير الآية الكريمة ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] والآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجواب عن الآية الأولى: أن الله -سبحانه وتعالى- يخبر عنه نفسه بأنه رب المشرقين ورب المغربين، والمراد بهما مشرقا الصيف والشتاء، مشرق الصيف حيث تكون الشمس في أقصى مدار لها نحو الشمال، ومشرق الشتاء حيث تكون الشمس في أقصى مدار لها نحو الجنوب، ونص الله على ذلك لما في اختلافهما من المصالح العظيمة للخلق، ولما في اختلافهما من الدلالة الواضحة على تمام قدرة الله -سبحانه وتعالى-، وكمال رحمته وحكمته، إذْ لا أحد يقدر على أن يصرف الشمس من مشرق إلى مشرق ومن مغرب إلى مغرب إلا الله -عز وجل-، ولهذا قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٧-١٨] فأشار في تعقيبة هذه الآية السابقة إلى أن هذا من آلاء الله ونعمه العظيمة على عباده.

إذًا فالمراد بالمشرقين والمغربين مشرقا الشمس في الصيف والشتاء، ومغرباها في الصيف والشتاء وقد قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] فجمع المشرق والمغرب، وقال تعالى في آية أخرى آية ثالثة: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] ولا تناقض بين هذه الآيات الكريمة، فالمراد بآية التثنية ما أسلفناه، والمراد بآية الجمع أن مشارق الشمس ومغاربها باعتبار مشرقها ومغربها كل يوم، لأن كل يوم لها مشرق ومغرب غير مشرقها ومغربها بالأمس، أو أن المراد بالمشارق والمغارب مشارق النجوم والكواكب والشمس والقمر.

وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فالمراد بها الناحية، أي: إنه مالك كل شيء ورب كل شيء، سواء أكان ذلك الشيء في المشرق أو في المغرب.

وليعلم أن كتاب الله، وما صح من سنة رسوله ﷺ لا يمكن أن يكون

فيه تناقض، لا فيما بينها من النصوص، ولا فيما بينها وبين الواقع، فإنْ تَوَهَّمَ واهم التناقض أو التعارض فذلك إما لقصور في علمه، أو نقص في فهمه، أو تقصير في تدبره وتأمله، وإلا فإن الحقيقة الواقعة أنه ليس بين نصوص الكتاب والسُّنَّة تناقض، ولا بينها وبين الواقع أيضًا.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] وهو الذي سأل عنه السائل، أو هو الفقرة الثانية من سؤاله، فمعناه: أن هذه الشمس العظيمة التي جعلها الله تعالى سراجًا وهاجًا، عظيم الحرارة عظيم النور، هذه الشمس تجري بإذن الله -عز وجل-، أي: تسير لمستقر لها أي لغاية حددها الله -عز وجل- بعلمه، ولهذا قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]، فهو لعزته -تبارك وتعالى- وقهره خلق هذه الشمس العظيمة، وسخرها تجري بأمره وبمقتضى علمه وحكمته إلى حيث أراد الله -عز وجل-، والمستقر هو مستقرها تحت العرش، حيث تذهب كل يوم إذا غربت وتسجد تحت العرش عرش الرحمن -جل وعلا- وتستأذن، فإن أذن لها وإلا رجعت من حيث جاءت وخرجت من مغربها، وهذا هو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فإن الناس إذا رأوها خرجت من المغرب آمنوا أجمعون، ولكن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

كذلك تجري لمستقر آخر، وهو منتهاها يوم القيامة الدال عليه قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١]، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الشمس تدور على الأرض، وهو الذي يدل عليه ظاهر القرآن، وهو الذي نعتقده وندين الله به، حتى يأتينا دليل محسوس ظاهر يسوغ لنا أن نؤول ظاهر الآية. أما ما يقال الآن بأن اختلاف الليل والنهار وطلوع الشمس وغروبها إنما هو بسبب دوران الأرض، فإنه لا يحل لأحد أن يعدل عن ظاهر الكتاب والسُّنَّة إلا بدليل يكون حجة له أمام الله -عز وجل- يوم القيامة، يسوغ له أن

يصرف ظاهر القرآن والسُّنَّة إلى ما يطابق ذلك الشيء المدعى، وما دمنا لم نر شيئًا محسوسًا تطمئن إليه نفوسنا ونراه مُسَوِّغًا لنا جواز صرف القرآن عن ظاهره فإن الواجب علينا معشر المؤمنين أن نؤمن بظاهر القرآن والسُّنَّة، وأن لا نلتفت إلى قول أحد خالفهما كائنًا من كان، وإلى الآن لم يتبين لي صحة ما ذهب إليه هؤلاء من أن اختلاف الليل والنهار في الشروق والغروب كان بسبب دوران الأرض.

وعليه فإن عقيدتي التي أدين الله بها أن الشمس هي التي يحصل بها اختلاف الليل والنهار، وهي التي تدور على الأرض، والله على كل شيء قدير.

ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]؟

ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]؟

أولم تر إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]؟ ففي هذه الآيات المتعددة إضافة الطلوع والغروب، وإضافة التزاور إلى الشمس، وإضافة التواري أيضًا إلى الشمس، فما بالنا نصرف هذه الأفعال المسندة إلى الشمس عن ظاهرها إلى قول لم يتبين لنا أنه واقع حسًّا؟ إن هذا لا يجوز أبدًا إلا بدليل محسوس يستطيع الإنسان أن يواجه ربه به يوم القيامة و يقول: يا رب إني رأيت الأمر المحسوس يخالف ظاهر ما خاطبتنا به، وأنت أعلم وأحكم، وكتابك مُنَزَّه عن أن يناقض الواقع المحسوس، فإذا تبين بالحس الواضح البين أن اختلاف الليل والنهار بسبب دوران الأرض فإن فهمي يكون خطأ، وأما ما دام الأمر هكذا مجرد أقاويل فإني أعتقد أنه لا يجوز لأحد أن يخالف ظاهر الكتاب والسُّنَّة في مثل هذه الأمور.

وخلاصة القول: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] أن الله يخبر بأن الشمس تسير بإذن الله -عز وجل- لمستقر

لها، لغاية تنتهي إليها وهو يوم القيامة، ولمستقر لها ولغاية تنتهي إليها يوميًا وهو سجودها تحت العرش، كما صح ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر الذي رواه البخاري وغيره[1].

***

(٩١٢) يقول السائل ع. ا. ح: ما معنى قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية وما بعدها يُبَيِّنُ الله تعالى فيها أصناف الأنعام التي أحلها الله لنا، يبين -سبحانه وتعالى- أنها ثمانية أصناف:

ذكر وأنثى من الضأن، وذكر وأنثى من المعز، وذكر وأنثى من الإبل، وذكر وأنثى من البقر.

ثم يقول -عز وجل-: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ويَرُدُّ بذلك على المشركين الذين حرموا من هذه الأصناف ما شاءوا وأباحوا ما شاءوا، فقالوا: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وتشير الآية الكريمة إلى أنه لا يحل لأحد أن يُحَلِّلَ أو يُحَرِّمَ شيئًا إلا بإذن الله -عز وجل-، فإن التحليل والتحريم والإيجاب والاستحباب كله إلى الله -عز وجل-، ليس لأحد أن يتقدم فيه بين يدي الله ورسوله ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ﴾ [النحل: ١١٦].

وبهذه المناسبة أود أن أذكر المستمع بقاعدتين مهمتين دل عليهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأجمع المسلمون عليهما.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، رقم (٣١٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٩).

القاعدة الأولى: أن الأصل في العبادات الْحَظْرُ والْمَنْعُ، حتى يقوم دليل على المشروعية.

والقاعدة الثانية: أن الأصل فيما سوى ذلك الحل والإباحة، حتى يقوم دليل على المنع.

دليل القاعدة الأولى: قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ**»(١)، وفي لفظ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

ودليل القاعدة الثانية: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقول النبي ﷺ: «**إن الله فرض فرائضَ فلا تضيعوها، وَحَدَّ حُدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها**»(٢)، وقال ﷺ: «**ما سكت عنه فهو عَفْوٌ**»(٣).

وعلى هذا فكل من تَعَبَّد لله تعالى بشيء من الأقوال أو الأفعال أو العقائد، ولم يكن له دليل من كتاب أو سنة، فإن تعبده هذا مردود عليه، بل هو آثم به، قال النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»(٤)، وكل من حَرَّمَ شيئًا سوى العبادات فإننا نقول له: هات الدليل على ما قلت، وإلا فقد قلت ما ليس لك به علم.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٨١).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأطعمة، بَابُ مَا لَمْ يُذْكَرْ تَحْرِيمُهُ، رقم (٣٨٠٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٩١٣) يقول السائل أ. س. س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الله يخبر بأنه حرم على الذين هادوا -وهم اليهود- كل ذي ظُفُر من البهائم، وذو الظفر قال أهل العلم: هو الذي ليس فيه شق في يديه ولا في رجليه، يكون يداه ورجلاه طبقة واحدة، بمعنى: أنه يكون كخف بعير مثلًا غير مشقوق، لأن الأرجل في البهائم منها ما هو مشقوق كالماعز والبقر، ومنها ما هو غير مشقوق كالإبل، فحرم عليهم كل ذي ظفر، وحرم عليهم من البقر والغنم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فإنه حلال لهم، وبين الله -سبحانه وتعالى- أن هذا التحريم إنما هو ببغيهم وعدوانهم، وأنهم لما بغوا واعتدوا حرَّم عليهم بعض الطيبات، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]، وهو نوع من العقاب، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وهنا الضمير يعود إلى الله -عز وجل-، وأن ما جاء في الذم للتعظيم، وهو -سبحانه وتعالى- أصدق القائلين وأعدل الحاكمين.

ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة أن الإنسان بمعصيته لربه وببغيه قد يُحْرَمُ بعض الطيبات، إما شرعًا كما حصل لليهود، وإما قَدَرًا، فإن الإنسان قد يصاب بآفات تمنعه من تناول بعض الطيبات بسبب عدوانه وبغيه، وكذلك أيضًا قد يحدث الله تعالى الْجَدْبَ والقَحْطَ وقلة الثمار بسبب المعاصي والذنوب، فرزق الله -عز وجل- والطيبات التي أحلها للعباد إذا بغوا واعتدوا فقد يُحْرَمُونَهَا، إما شرعًا وإما كونًا وقدرًا، لكن لو أن الناس فعلوا ما أمر به الله ورسوله وقاموا بطاعة ربهم فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ

﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، نسأل الله تعالى أن يحقق للمسلمين الإيمان والتقوى.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: هذا التحريم هل هو خاصٌّ باليهود فقط؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم خاص باليهود، لقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا﴾ [النساء: ١٦٠] لم ينسخ هذا إلى يوم القيامة، لكن الشريعة كلها، شريعة اليهود، وشريعة النصارى، وكل الشرائع نسخت بشريعة النبي ﷺ، ولكن ما داموا متمسكين بدينهم وهم معتقدون أنهم على دينهم فإن هذا مُحَرَّمٌ عليهم.

***

(٩١٤) يقول السائل: ع. ح: في الآية الكريمة التي في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] وفي سورة الإسراء: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] ماذا يفيد الاختلاف في هذا الترتيب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الاختلاف في هذا التعبير مبنيٌّ على اختلاف الحالين: ففي آية الأنعام يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] يعني: من فقر، يعني: إذا كنتم فقراء فلا تقتلوا أولادكم، ثم قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فبدأ بالآباء لأنهم فقراء، فبدأ بذكر رزقهم قبل ذكر رزق الأولاد المقتولين.

أما في الآية الأخرى آية الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] فلأن الآباء القاتلين هنا ليسوا فقراء، بل هم أغنياء لكن يخشون الفقر، فكان الأنسب أن يبدأ بذكر رزق الأولاد قبل ذكر رزق الآباء، لأن الآباء رزقهم موجود، فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

obeikandl.com

❁ سورة الأعراف ❁

(٩١٥) يقول السائل: مَن هم هؤلاء القوم الذين أرسل الله عليهم هذا العقاب المذكور في هذه الآية: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء فرعون وقومه، أرسل الله عليهم الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

أما الطوفان فهو الماء الذي يغرق زروعهم، وأما الجراد فهو معروف يرسله الله تعالى فيأكل الزرع وهو أخضر، وأما القمل فإنه دودة تأكل الْحَبَّ بعد أن يدخر، وأما الدم فالصواب فيه أنه نزيف يخرج من أبدانهم، وأما الضفادع فإنها ذلك الحيوان المشهور المعروف يفسد عليهم المياه.

فيكون الله تعالى قد أصابهم بطعامهم وشرابهم، بل حتى بمادة حياتهم وهي الدم وهذا والعياذ بالله من العقوبات التي تصيبهم، بل التي أصابتهم حتى لجؤوا إلى موسى -عليه الصلاة والسلام-، وطلبوا منه أن يسأل الله تعالى أن يرفع ذلك عنهم.

***

(٩١٦) يقول السائل أ. ع. ب: ما الحكمة في أن الله -سبحانه وتعالى- لم يبين عدد أصحاب الكهف؟ ومن هم أصحاب الكهف؟ ومن هم أصحاب السبت وما قصتهم؟ أفيدونا في ذلك بارك الله فيكم.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل أن أجيب على هذا السؤال أود أن أُبيِّنَ أن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكيم معناه الحاكم المحكم، فالله -سبحانه وتعالى- حاكم على عباده شرعًا وقدرًا، وهو -سبحانه وتعالى- ذو الحكمة البالغة التي لا تدركها أو لا تحيط بكنهها العقول، وما من شيء يقدره الله -سبحانه وتعالى- أو يشرعه لعباده إلا وله حكمة، لكن من الْحِكَم ما نعلمها ومن الحكم ما لا نعلم منها شيئًا، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وعلى هذا يجب على كل مؤمن أن يُسلِّمَ لأمر الله الكوني والشرعي، ولحكمه الكوني والشرعي، وأن يعلم أنه على وفق الحكمة وأنه لحكمة.

ولهذا لما سألوا النبي ﷺ عن الروح قال الله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولما سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت: «**كان يصيبنا ذلك - تعني: على عهد النبي ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة**»[1]، تعني: أن الشرع جاء هكذا، ولا بد أن لذلك حكمة، وإذا تقررت هذه القاعدة في نفس المؤمن تم له الاستسلام لله -عز وجل- والرضا بأحكامه.

ثم نعود إلى الجواب عن السؤال، وقد تضمن السؤال عن شيئين: الأول: أصحاب الكهف، وقد قال السائل: ما الحكمة في أن الله -سبحانه وتعالى- لم يُبيِّنْ عددهم؟ فنقول: إن الله تعالى قد أشار إلى بيان عددهم في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، فهذه الآية تدل على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، لأن الله تعالى أبطل القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] هذا إبطال هذين القولين، أما الثالث فقال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولم ينفه الله -عز وجل-.

وأما قوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢] فلا يعني ذلك أن غير الله لا يعلم به، أو لا يعلم بها أي بالعدة، وإنما يراد بذلك أن نبينا محمدًا

---

(١) تقدم تخريجه.

ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله -سبحانه وتعالى-، ويكون في ذلك إرشاد للنبي ﷺ أن يفوض العلم إلى الله، ولو كان المعنى لا يعلم عدتهم أحد لكان مناقضًا لقوله: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢] فإن الآية تدل على أن قليلًا من الناس يعلمون عِدَّتَهُمْ، وعلى هذا فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم. وهؤلاء السبعة فتية آمنوا بالله -عز وجل- إيمانًا صادقًا، فزادهم الله تعالى هدى، لأن الله -عز وجل- إذا علم من عبده الإيمان والاهتداء زاده هدى، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين بالله، وزادهم الله تعالى هدى وعلمًا وتوفيقًا، وكانوا في بلد أهلها مشركون، فأووا إلى كهف يحتمون به من أولئك المشركين، وكان هذا الكهف وجهه إلى الناحية الشرقية الشمالية، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، وهذه الوجهة أقرب ما يكون إلى السلامة من حَرِّ الشمس وإلى برودة الجو، بقوا على ذلك ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، والله -عز وجل- يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال في نومهم هذا، وقد ألقى الله الرعب على من أتى إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] كل ذلك حماية لهم.

ثم إن هؤلاء القوم بعد هذه المدة الطويلة أيقظهم الله من رُقَادِهِمْ، ولم يتغير منهم شيء لا في شعورهم ولا في أظفارهم ولا في أجسامهم، بل الظاهر -والله أعلم- أنه حتى ما في أجوافهم من الطعام قد بقي على ما هو عليه، لم يجوعوا ولم يعطشوا، لأنهم لما بعثهم الله -عز وجل- تساءلوا بينهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وهذا يدل على أنه لم يتغير منهم شيء، وأن ما ذكر من أن أظفارهم زادت وشعورهم طالت هو كذب، لأنه لو كان الأمر هكذا لعرفوا أنهم قد بقوا مدة طويلة.

هؤلاء القوم في قصتهم عبرة عظيمة، حيث حماهم الله -عز وجل- من

تَسَلُّطِ أولئك المشركين عليهم، وآواهم في ذلك الغار هذه المدة الطويلة من غير أن يتغير منهم شيء، وجعل -سبحانه وتعالى- يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، لئلا تتأثر الجنوب التي يكون عليها النوم، وحماهم الله -عز وجل- بكون من اطلع عليهم يولي فرارًا ويملأ منهم رعبًا.

والخلاصة التي تستخلص من هذه القصة هي: أن كل من التجأ إلى الله -عز وجل- فإن الله تعالى يحميه بأسباب قد يدركها وقد لا يدركها، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] فإن مدافعة الله عن المؤمنين قد تكون بأسباب معلومة وقد تكون بأسباب مجهولة لهم، فهذا يرشدنا إلى أن نحقق الإيمان بالله -عز وجل- والقيام بطاعته.

وأما أصحاب السبت فإن قصتهم أيضًا عجيبة وفيها عبر، فأصحاب السبت أهل مدينة من اليهود، حرَّم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت، وابتلاهم الله -عز وجل-، حيث كانت الحيتان يوم السبت تأتي شُرَّعًا على ظهر الماء كثيرة، وفي غير يوم السبت لا تأتي، فضاق عليهم الأمر وقالوا: كيف ندع هذه الحيتان؟ لكنهم قالوا: إن الله حرم علينا أن نصيدها في يوم السبت، فلجؤوا إلى حيلة: فوضعوا شِبَاكًا في يوم الجمعة، فإذا كان يوم السبت وجاءت الحيتان ودخلت في هذه الشباك انحبست بها، فإذا كان يوم الأحد جاءوا فأخذوها، فقالوا: إننا لم نأخذ الحيتان يوم السبت، وإنما أخذناها يوم الأحد، وظنوا أن هذا التحيل على محارم الله ينفعهم، ولكنه بالعكس، فإن الله تعالى جعلهم قردة خاسئين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

ففي هذه القصة من العبر: أن من تَحَيَّلَ على محارم الله فإن حيلته لا تنفعه، وأن التحيل على المحارم من خصال اليهود، وفيها أيضًا من العبر ما تدل عليه القصة في سورة الأعراف: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٥]، فقد انقسم أهل هذه القرية ثلاثة أقسام: قسم اعتدوا وفعلوا ما حرم الله عليهم بهذه الحيلة، وقسم نهوهم عن هذا الأمر وأنكروا عليهم، وقسم سكتوا، بل ثَبَّطُوا الناهين عن المنكر وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وقد بين الله -سبحانه وتعالى- أنه أنجى الذين يَنْهَوْن عن السوء، وأنه أخذ الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، وسكت عن الطائفة الثالثة، وفيه دليل على خطورة هذا الأمر، أي: على خطورة من كان ينهى الناهين عن السوء، فيقولون مثلًا: إن الناس لن يبالوا بكلامكم، ولن يأتمروا بالمعروف ولن ينتهوا عن منكر، وما أشبه ذلك من التثبيط عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيه أيضًا دليل على أنه يجب على الإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سواء ظن أنه ينفع أم لن ينفع، معذرة إلى الله، ولعل المنهي يتقي الله -عز وجل-.

***

(٩١٧) يقول السائل ع. ع: ما تفسير قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تفسير هذه الآية الكريمة أن الله أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يتلو على الناس قصة هذا الرجل الذي آتاه الله آياته، أي: علمه أحكام شريعته وبَيَّنَهَا له، ولكنه -والعياذ بالله- انسلخ منها وتركها، فتبعه الشيطان فأغواه، قال الله -عز وجل-: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:

١٧٦] أي: ولو شئنا لرفعناه بآياتنا فجعلناه يعمل بها ويقوم بواجبها، فإذا فعل ذلك رفعه الله تعالى بها، ولكنه -أي: هذا الذي آتاه الله الآيات- ليس أهلًا لأن يرفعه الله بها، لأنه أخلد إلى الأرض ومال إليها، و صار أكبر همه أن ينال حظوظه من الدنيا، سواء كان يريد الجاه أو المال أو المرتبة أو غير ذلك، واتبع هواه فيما أخلد إليه، فمثله كمثل الكلب يلهث دائمًا، سواء حملت عليه أم لم تحمل، فمن هذا الرجل الذي له هذا المثل؟ قال الله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فهذا هو الكافر الذي آتاه الله تعالى العلم، وبين له الشرع على أيدي رسله الكرام -عليهم الصلاة والسلام-، ولكنه أبى إلا أن يَتَّبِعَ هواه ويخلد إلى الأرض، فصار هذا مآله، نسأل الله العافية.

***

(٩١٨) يقول السائل أ، ع: في قصة آدم وحواء المذكورة في تفسير آية الأعراف قال بعض العلماء: إنها قصة باطلة، لكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذكرها في كتاب التوحيد، فما رأيكم في هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: القصة غير صحيحة، وقد بَيَّنَّا في كتابنا (شرح كتاب التوحيد) الأوجه الدالة على أنها غير صحيحة، ولا ندري لماذا وضعها الشيخ رحمه الله في كتابه.

obeikandl.com

❁ سورة الأنفال ❁

(٩١٩) تقول السائلة أ، ف، ش: ما تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣] الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المراد بهذا الكفار، كما قال -عز وجل- في آية أخرى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، وقال الله تعالى عنهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] فهم صُمٌّ لا يسمعون الحق سماع انتفاع به، بُكْمٌ لا يتكلمون بالحق، عُمْي لا يرون الحق، فهؤلاء شر الدواب عند الله -عز وجل-، وهم الكفار عمومًا، حتى اليهود والنصارى بعد بعثة الرسول ﷺ يدخلون في هذه الآية: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

***

(٩٢٠) تقول السائلة أ. ع: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الله -سبحانه وتعالى- يَحُولُ بين المرء وقلبه، فيريد الإنسان شيئًا ويعزم عليه وإذا به يَنْتَقِضُ عَزْمُهُ ويَتَغَيَّرُ اتجاهه، فيكون الله تعالى حائلًا بين المرء وقلبه، وفي هذا تحذيرٌ للعباد من أن يحول الله تعالى بين العبد وقلبه فَيَزِلَّ ويهلك، فعلى المرء أن يراقب قلبه دائمًا وينظر ما هو عليه حتى لا يزل ويهلك.

✿✿✿

obeikandl.com

❁ سورة التوبة ❁

(٩٢١) يقول السائل: ما حكم البسملة في أول سورة التوبة؟ ولماذا لم تكتب فيها؟ أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البسملة في أول سورة التوبة غير مشروعة، لأن الصحابة ﷺ حين كتبوا المصحف لم يكتبوها، وهذا يدل على أنها لم تنزل -أعني: البسملة بين سورة الأنفال وسورة براءة- ولهذا عَدَل الصحابة ﷺ عنها ولم يكتبوها.

***

(٩٢٢) يقول السائل ص. ح: لماذا لم تفتتح سورة التوبة بالبسملة مثل جميع السور في القرآن الكريم؟ وما تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لم تفتتح هذه السورة بالبسملة لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولو ورد عن النبي ﷺ لكان محفوظًا وباقيًا، وقد ورد عن الصحابة ﷺ أنه أشكل عليهم هل سورة براءة بقية سورة الأنفال، أو أنها سورة مستقلة؟ وذلك لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ وُرُود البسملة بينها وبين الأنفال، فلهذا جعلوا بينهما فاصلًا وسَمَّوْا كل واحدة منهما باسمها الخاص، ولم يجعلوا بينهما بسملة، وكان هذا من الحكمة، لأنهم لو كتبوا البسملة لكان ذلك واضحًا، ولو تيقن الصحابة ﷺ أنها سورة واحدة لما جعلوا بينهما فاصلًا، وكأنهم ﷺ رأوا أن يجعلوا هذا الفاصل دون أن يضعوا بسم الله الرحمن الرحيم.

وأما قوله: ما معنى قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]؟ فالمعنى: أن هؤلاء الذين جرى بينهم وبين النبي ﷺ عَهْدٌ مَعْفُونَ من قتالهم مبرؤون منه، ولهذا قال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، وهذا إذا كان بين المسلمين والمشركين عهد دعت الحاجة

إلى عقده فإنه يجب على المسلمين ألا يتعرضوا للكفار في هذا العهد الذي جرى بينهم.

***

(٩٢٣) يقول السائل أ. ح. ح: لماذا لم تبتدأ سورة التوبة بالبسملة كغيرها من السور؟ فإننا إذا أردنا قراءتها نقول قبل البدء فيها: أعوذ بالله من النار، ومن شر الكفار، ومن غضب الجبار، والعزة لله ولرسوله، ثم نبدأ في السورة، فهل هذا مشروع أم مخالف؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الدعاء الذي ذكرت عند بداية سورة براءة هذا مبتدع لا أصل له، ولا يجوز للإنسان أن يبتدئ به السورة.

وقد رأيت وأنا صغير هذا مكتوبًا على هامش بعض المصاحف، والواجب لمن اطلع عليه أن يَطْمِسَهُ وأن يزيله، لأن هذا من البدع الذي لم ترد عن النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وأما بالنسبة لشق السؤال الأول وهو أنه لم تبتدأ هذه السورة بالبسملة، فلأنها هكذا جاءت، وأنه لو كانت البسملة منزلة فيها لكانت محفوظة ولكانت موجودة، لأن الله يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقد أشكل على الصحابة رضي الله عنهم فيما يروى عن عثمان هل هي سورة مستقلة، أم آخر سورة الأنفال؟ فوضعوا بينهما فاصلًا بدون بسملة، ووضع الفاصل هنا حُكْمٌ بين حُكْمَيْنِ، لأنه لو ثبت أنها من بقية الأنفال لم يكن هناك فاصل ولا بسملة، ولو ثبت أنها مستقلة لكان بالبسملة والفاصل، فلما لم يثبت هذا ولا هذا جعلوا فاصلًا، وكان هذا من الاجتهادات الموافقة للصواب. فإني أعلم علم اليقين أن لو كانت البسملة نازلة أمام هذه السورة لكانت باقية بلا شك، لأن الله يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وعلى هذا فلا يشرع للإنسان إذا ابتدأ بسورة براءة أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم.

***

(٩٢٤) يقول السائل هـ. ي: هل الأشهر الحرم ما زالت حُرُمًا عند الله تعالى، أم تم نسخها؟ وما الدليل على ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأشهر الحرم أربعة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] وهي ثلاثة متوالية: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد منفرد وهو رجب. هذه الأشهر الحرم لها مزيد عناية في تجنب الظلم، سواء كان ظلمًا فيما بين الإنسان وبين ربه، أو ظلمًا فيما بينه وبين الخلق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

واختلف العلماء -رحمهم الله- في القتال في هذه الأربعة الحرم: هل هو باقٍ تحريمه، أم منسوخ؟ فجمهور أهل العلم على أنه منسوخ، لأن الله تعالى أمر بقتال المشركين كافة على سبيل العموم.

وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن التحريم -أي: تحريم القتال في هذه الأشهر- باقٍ، وأنه لا يجوز لنا أن نبتدئ الكفار بالقتال فيها، لكن يجوز لنا الاستمرار في القتال وإن دخلت الأشهر الحرم، وكذلك يجوز لنا قتالهم إذا بدؤونا بالقتال في هذه الأشهر.

فالمسألة إذًا خلافية: هل يجوز ابتداء القتال فيها -أي: في هذه الأشهر الأربعة الحرم- أو لا يجوز؟ والأمر في هذا موكول إلى ولاة الأمور الذين يُدَبِّرُون أمور الحرب والجهاد.

***

(٩٢٥) يقول السائل: ما هو النسيء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ﴾ [التوبة: ٣٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾

[التوبة: ٣٧]، النسيء هو أن الأربعة الأشهر الحرم يحرم فيها القتال، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا القتال في المحرم -وهم يعتقدون أنه حرام- قالوا: نؤجل تحريم هذا الشهر -أعني: شهر المحرم- إلى صفر، فيؤجلونه ويقاتلون في المحرم، ويقولون: نحن حَرَّمْنَا بدله صَفَرًا، وهذا تأخيرٌ للتحريم من شهر محرم إلى شهر صفر، وقد قال الله تعالى عنه: ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، لأنه تغييرٌ لما حرَّم الله -عز وجل-، ونقلٌ للتحريم من زمن إلى زمنٍ آخر، ولهذا قال الله تعالى: إنه ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ فيقولون: نحن حَرَّمْنَا القتال في أربعة أشهر من السنة ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني: يُحِلُّوا القتال في الْمُحَرَّمِ مثلًا.

***

(٩٢٦) يقول السائل ت. ع: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم النسيء بمعنى التأخير، كانت العرب في جاهليتها أحيانًا تجعل المحرم صفرًا وصفرًا مُحَرَّمًا، وشهر المحرم معروف أنه شهر لا يجوز فيه القتال، فيكيفون هذا على رغبتهم، إن كانت رغبتهم أن يقاتلوا في المحرم قاتلوا وأَخَّرُوا تَحْرِيمَهُ إلى صَفَر، فأخروا التحريم إلى شهر آخر بعده.

يقول -عز وجل-: إن هذا ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] يعني: يأتوا بشهر واحد مُحَرَّم فيحلوا ما حرم الله.

وفي الآية الكريمة دليل على أن الكفر يزيد وينقص، كالإيمان يزيد وينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والكفر يزيد بالسيئات

الزائدة على أصل الكفر، ولهذا يعاقب الكافر عليها -أي: على السيئات الزائدة على الكفر- كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٢] يعني: يقولون لهم: ما أدخلكم في النار؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٧] وهذا دليل على أن لتركهم الصلاة وإطعام المسكين أثرًا في تعذيبهم في سقر.

***

(٩٢٧) يقول السائل ع. ع. ع: ما معنى قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ النسيء معناه التأخير، وكانوا في الجاهلية يعتقدون تحريم شهر المحرم، لأنه أحد الأشهر الحرم الأربعة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهي ثلاثة متوالية وشهر منفرد، فالمتوالية هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والمنفرد هو شهر رجب.

فكانوا في الجاهلية يؤخرون شهر المحرم يحلونه، ويجعلون التحريم في شهر صفر، ويقولون: نحن جعلنا أربعة أشهر في السنة محرمة، فوافقنا ما حرم الله، ولكنهم في الحقيقة أَحَلُّوا ما حرم الله تعالى وهو شهر المحرم، وتأخيرهم له إلى صفر هذا ضلال منهم وزيادة في الكفر، ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

***

(٩٢٨) يقول السائل: أخرجت زكاة مالي من البقر وأعطيتها لزوجتي باعتبار أنها زكاة، وعلى حسب ظني أنها تدخل في نطاق العاملين عليها، بمعنى: أنها تعينني في رعاية تلك الأبقار، وتُعِدُّ الطعام للعمال الذين يقومون برعاية وسقي تلك الأبقار، فهل يصح ذلك؟ وإذا كان غيرُ صحيح فهل عَلَيَّ أن أخرج تلك الزكاة التي مر عليها أربع سنوات مرة أخرى؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على الزكاة، والمراد بذلك الطائفة الذين تقيمهم الدولة لقبض الزكاة ممن تجب عليهم وصرفها في مستحقيها، هؤلاء هم العاملون عليها، وليس المراد بالعاملين عليها العاملين على مال الزكاة كما ظنه هذا السائل.

وعلى هذا فإخراج زكاته إلى زوجته بهذه النية لا يجزئه، والواجب عليه أن يعيد ما أخرجه، بمعنى: أن يزكي ماله عن السنة التي أخرج الزكاة فيها إلى زوجته بهذه النية، فإذا كان قد أعطاها بقرة أو بقرتين فإنه يخرج الآن بقرة أو بقرتين، المهم أنه يضمن الزكاة أو يضمن ما دَفَعَهُ لامرأته فيخرجه الآن.

وإني أنصح هذا الرجل وغيره وأقول: إن الواجب على المسلم أن يعلم أحكام الله تعالى في عبادته قبل أن يفعلها، ليعبد الله تعالى على بصيرة، أما كونه يتعبد لله تعالى بالجهل فإن هذا نقص عظيم، وربما يفعل شيئًا يحبط العمل وهو لا يدري، وربما يترك شيئًا لا بد من وجوده في العمل وهو لا يدري، فالواجب على المرء أن يتعلم من أحكام دينه ما تدعو الحاجة إليه والله المستعان.

***

(٩٢٩) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]؟ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]؟ من هم الثلاثة الذين خلفوا؟ وما سبب نزول هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الآية الأولى، وهي قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] فإن هذه الآية يعد الله -سبحانه وتعالى- فيها أنه سيري هؤلاء المكذبين لرسول الله ﷺ، سيريهم آياته، أي: العلامات الدالة على صدق نبيه ﷺ وصحة رسالته، والسين هنا للتنفيس والتحقيق، وهو وقوع الشيء عن قرب.

وقوله: ﴿ فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣] الآفاق جمع أفق وهي النواحي، سيريهم الله -عز وجل- الآيات الدالة على صدق النبي ﷺ في الآفاق في فتحه للبلاد وإسلام أهلها، وربما تكون الآفاق هنا أوسع من الفتوحات، فيكون كل ما يظهر من الأمور الأفقية شاهدًا لما جاء به القرآن، فإنه يكون دليلًا على صدق رسالة النبي الله ﷺ وصحة نبوته.

وقوله: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: في أنفس هؤلاء المكذبين، حيث تكون الدولة عليهم فَيُغْلَبُونَ، وتكون الغلبة لرسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: حتى يظهر ويَبِينَ أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق.

ثم قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] يعني: أو لم تكف شهادة الله تعالى على كل شيء عن كل آية؟ فإن شهادة الله على الشيء أعظم من شهادة غيره، وكفى بالله شهيدًا.

وشهادة الله تعالى لرسوله بالحق نوعان: شهادة قولية، وشهادة فعلية.

أما الشهادة القولية: فإن الله تعالى قال في القرآن الكريم: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦] فهذه شهادة قولية بما أنزل الله على رسوله ﷺ.

وأما الشهادة الفعلية: فهي تمكين الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في الأرض، ونصره إياه وإدالته على أعدائه، فإنه إن كان ﷺ غير صادق فيما جاء به من الرسالة والنبوة ما مكن الله له، لأن الله تعالى لا يُمْكِنُ أن يُمَكِّنَ لظالم في أرضه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ

يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥]، ولهذا كل من ادعى النبوة بعد رسول الله ﷺ فإن الله تعالى لا يُمكِّنُ له ولا ينصره، بل يخذله ويبين كذبه حتى يظهر للناس أمره، وذلك لأن النبي ﷺ خاتم النبيين، فلا نبي بعده ﷺ.

وأما الآية الثانية، وهي قول السائل: من هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا؟ الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع. هؤلاء الثلاثة تَخَلَّفُوا عن غزوة تبوك التي قادها النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكانت في وقت حار، والثمار قد طابت، والظل محبوب للنفوس، ولهذا بَيَّنَ النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه الغزوة أنه سيذهب إلى كذا وكذا، فبين للناس جهة قصده، مع أنه كان من عادته إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها -عليه الصلاة والسلام-، لكن لما كانت هذه الغزوة بعيدة المسافة، وكان الذين يقابلون المسلمين بها جمع كثير من الروم، بيَّن النبي ﷺ وجهته وقصده، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم.

تخلف هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم عن هذه الغزوة بدون عذر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨]، وكان من قصتهم أن النبي ﷺ لما قدم المدينة راجعًا من تبوك جاء إليه المنافقون يعتذرون، وكان النبي ﷺ يَقْبَلُ ظواهرهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله -عز وجل-، فيستغفر لهم حين يقولون: إن لنا عذرًا بكذا وبكذا وبكذا فيستغفر لهم، أما كعب بن مالك وصاحباه رضي الله عنهم فقد صَدَقُوا النبي ﷺ، وأخبروه بالخبر الصحيح أنهم تخلفوا بلا عذر، فأرجأ النبي ﷺ أمرهم حتى يحكم الله فيهم، وأمر الناس بهجرهم وعدم إيوائهم وعدم

الكلام معهم، حتى إن كعب بن مالك ﷺ جاء إلى أبي قتادة وكان ابن عمه، فتسور عليه حائطه وسلم عليه ولكنه لم يرد عليه السلام، لأن النبي ﷺ أمر بهجرهم، وكان كعب يأتي إلى النبي ﷺ فيسلم عليه يقول: فلا أدري أحرك شفتيه برد السلام أم لا؟ مع كمال حسن خلق النبي ﷺ.

ولما بقوا أربعين ليلة أمر النبي ﷺ أن يعتزلوا نساءهم، كل هذا مبالغة في هجرهم، وتعزيرًا عن تخلفهم، حتى يقول الله تعالى في أمرهم ما يريد، وكان في هذه القصة التي بلغت منهم هذا المبلغ العظيم: ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا -أي: أيقنوا- أن لا ملجأ من الله إلا إليه، حتى إن كعب بن مالك يقول: تنكرت لي الأرض فلم تكن الأرض التي أنا أعرفها، وتنكر له الناس لا يؤوونه ولا يسلمون عليه.

ولكن بعد أن مضى خمسون ليلة أنزل الله تعالى الفرج بتوبته عليهم، فلما صلى النبي -عليه الصلاة والسلام- الصبح أخبر الناس أن الله قد أنزل توبتهم، فزال هذا الغم الشديد والكرب العظيم الذي أصابهم في هذه المحنة.

وكانت هذه المحنة محنة عظيمة في عاقبتها، حيث صبروا على ما قضى به النبي ﷺ من هجرهم، وصبروا على هذه النكبة العظيمة، مع أن كعب بن مالك ﷺ أتاه كتاب من ملك غسان يقول فيه: «**إنه قد بلغنا أن صاحبك قد هجرك أو قد قلاك - يعني: النبي ﷺ - فالحق بنا نواسك**»، يعني: ائت إلينا نواسك ونجعلك مثلنا، ولكنه ﷺ لقوة إيمانه لما أتاه هذا الكتاب عمد إلى التَّنُّورِ فَسَجَّرَهُ به وأحرقه وصبر، وإلا فإن الفرصة مواتية له لو كان يريد الدنيا، لكنه يريد الآخرة، فكانت هذه النتيجة العظيمة التي تعتبر من أعظم المفاخر، أنزل الله فيهم كتابًا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

ومعنى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ يعني: خلفهم النبي ﷺ، وأرجأ أمرهم فلم يقض فيهم بشيء سوى أن أمر بهجرهم، وليس معنى ﴿ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ يعني: تخلفوا عن الغزوة، ولو كان هذا هو المراد لقال الله -عز وجل-: وعلى الثلاثة الذين تخلفوا، لكنه قال: ﴿ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ أي: خَلَّفَ النبي -عليه الصلاة والسلام- أمرهم وأرجأه حتى يقضي الله فيه ما أراد.

وفي قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ دليل على كثرة توبة الله -عز وجل- على عباده، لأن التواب صيغة مبالغة تعني الكثرة، وعلى أنه -عز وجل- يحب التوبة على عباده، وهذا ظاهر في النصوص من الكتاب والسُّنَّة، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته**»[(١)]، وذكر ﷺ «**لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فَأَيِسَ منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أَيِسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**» فإذا كان الله -عز وجل- يحب التوبة من عبده، فهو كذلك يحب التوبة على عبده والعبد يتوب إلى الله، والله -عز وجل- يتوب على العبد. نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى إخواننا المسلمين.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم (٦٣٠)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٤).

(٢) حديث توبة كعب وصاحبيه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب، رقم (٤٤١٨)، ومسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩).

obeikandl.com

❁ سورة يونس ❁

(٩٣٠) يقول السائل ص. خ. س: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ١٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: في هذه الآية يخبر الله أن الناس كانوا أمة واحدة، أي: على دين واحد، وهو دين الفطرة، ولكن اختلفوا حين طال بهم الزمن، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فانقسم الناس في قبول هؤلاء الرسل قسمين: منهم من آمن، ومنهم من كفر، ولو شاء الله -عز وجل- لقضى بينهم في الدنيا فأهلك الكافرين وأبقى المؤمنين وصارت الدولة لهم، وحينئذ تبقى الأمة واحدة على الإيمان، فتفوت الحكمة العظيمة من اختلاف الأمة وانقسامها إلى مؤمن وكافر، وهذه هي الكلمة التي سبقت من الله -عز وجل- أن يبقى الناس على قسمين: مؤمن وكافر، حتى يكون للنار أهلها وللجنة أهلها.

***

(٩٣١) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ [يونس: ٢٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية جزء من آية كريمة ذكرها الله -عز وجل- في سورة يونس في قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٤-٢٥]، ففي هذه الآية الكريمة يضرب الله مثل الدنيا، وما فيها من الزخارف، والزهوة والزينة

وغيرها، يضربه الله بماء أنزله من السماء إلى أرض يابسة هامدة، فاختلط به نبات الأرض، أي: أنبتت هذه الأرض من كل زوج بهيج ومن كل صنف، واختلط النبات بعضه ببعض، لوفرته ونموه مما يأكل الناس والأنعام، أي: من طعام الآدميين وطعام البهائم والثمار التي يأكلها الآدميون والزروع، حتى أصبحت بهجة للناظرين، ولما أخذت الأرض زخرفها وازينت وطابت ثمارها ونضجت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، وأنهم سوف يجنونها عن قرب وبكل سهولة، أتاها أمر الله تعالى إما ليلًا وإما نهارًا، رياح عاصفة، أو ثلوج، أو صواعق أو غير ذلك مما أهلكها ودمرها، فكانت حصيدًا كأن لم تَغَنْ بالأمس، أي: كأن لم تكن موجودة على ذلك الوجه البهيج الذي يسر الناظر، أصبحت حصيدًا هامدًا.

هكذا الحياة الدنيا: تزهو لصاحبها وتتطور، ويصبح صاحبها كأنه لن يموت، كأنه سيبقى فيها لما حَصَلَ له من الغرور في هذه الدنيا، ثم بعد ذلك يأتيه الموت، فإذا هو ذاهب، وإذا المال مبعثر في الورثة، وكل ما كان كأن لم يكن.

والله -عز وجل- إنما ضرب هذا المثل لئلا نغتر بالدنيا، حتى نحترز منها ومن غرورها، وألا نُقَدِّمَهَا على الآخرة، لأنها فانية زائلة، لا خير فيها إلا ما كان عونًا على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا أعقب ذلك المثل بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥] أي: إلى الجنة التي هي دار السلام، السالمة من كل نقص، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفيها النعيم المقيم، التي من دخلها ينعم ولا يبأس، ويصح ولا يمرض، ويحيا ولا يموت، وهم في سرور دائم وفي نعيم مقيم.

فانظر أيها الإنسان وقارن بين دار السلام السالمة من كل آفة، وبين الدنيا التي مهما تطورت وازدهرت وازدانت فإنها عند التمام يكون الفناء، واعتبر يا أخي ببقائك في هذه الدنيا، فإن عمل الآخرة أقل وأهون وأكثر فائدة من عمل الدنيا.

وأنا أضرب لك مثلًا واحدًا يكفيك عن غيره من الأمثال: أنفقت درهمًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، هذا الدرهم يضاعف إلى عشرة أمثاله، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، الدرهم يكون عشرة، والعشرة تكون إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة لا يحصيها إلا الله -عز وجل-، وأنت لم تعمل عملًا شاقًّا، غاية ما هنالك أنك أوصلت هذا الدرهم إلى مستحقيه ابتغاء وجه الله، لكن انظر إلى الدنيا، تجوب الفيافي وتضرب الأخطار من أجل أن تربح خمسة دراهم إلى العشرة، أو أقل من خمسة دراهم في العشرة، مع المشقة والعناء، وربما لا تربح أيضًا. أي العملين أهون، وأي العملين أكثر فائدة وأعظم نتيجة وأضمن وأسلم؟ أعتقد أن الجواب هو أن عمل الآخرة أهون وأسهل وأعظم نتيجة وأوثق.

كذلك: تصلي في بيتك يكتب لك أجر، وتصلي في المسجد يضاعف لك الأجر، فصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، عمل يسير والربح كثير، والناس الآن لو قيل لهم: إنكم تربحون الواحد بخمسة لذهب الإنسان إلى بلاد بعيدة من أجل هذا الربح القليل الذي قد يكون مضمونًا وقد يكون غير مضمون، لكنه لا يذهب إلى المسجد إلا من هدى الله -عز وجل-، مع أن الربح مضمون وكثير.

وبهذا تتبين مناسبة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥] بعد ذكر مثل الحياة الدنيا وما تؤول إليه.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ حيث عَمَّمَ في الدعوة بأن الله تعالى يدعو كل أحد إلى دار السلام، ولكنه في الهداية قال: ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ فليس كل من سمع دعوة الله أجاب الدعوة، ولكن يجيبها من وفقه الله -عز وجل- وهداه إلى صراط مستقيم.

اللهم نسألك أن تهدينا وإخواننا المسلمين صراطك المستقيم.

***

(٩٣٢) يقول السائل م. ز. خ: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]؟ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]؟ وأيضًا الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآيات لا تتعارض، فإن الله تعالى بعث في كل أمة رسولًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] وقال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]، فلا بد لكل أمة من رسول، ولكل أمة من نذير ينذرها عذاب الله -عز وجل-، ويبشرها برحمته لمن أطاع.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] فالمراد: أن الله تعالى لم يرسل إلى العرب نذيرًا قبل محمد ﷺ، ولهذا ليس من العرب رسول إلا محمد ﷺ، وهو دعوة إبراهيم وإسماعيل، حيث قال -عليه الصلاة والسلام- -أعني: إبراهيم-: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فلم يبعث الله -عز وجل- نذيرًا إلى العرب إلا محمدًا ﷺ، بعثه الله تعالى نذيرًا ولكافة الناس، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

***

(٩٣٣) يقول السائل ي. ب. ع: يقول الله -تبارك وتعالى- في كتابه العزيز: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] من هم هؤلاء الأولياء؟ وما هي صفاتهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هؤلاء الأولياء تكفل الله -عز وجل- ببيَانِهِمْ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ وهذه أوصافهم: من كان مؤمنًا تَقِيًّا كان لله وليًا، وليست الولاية بطول الأكمام، ولا بكبر العمامة، ولا بطول المسواك، الولاية بالإيمان والتقوى، فمتى عرفنا أن هذا الرجل من المؤمنين المتقين الذين لم يُجَرَّبْ عليهم معاصٍ، لا بترك واجب ولا بفعل محرم مع الاستقامة عرفنا أنهم من أولياء الله.

ولكن هل أولياء الله ينفعون الإنسان بعد موتهم؟ الجواب: لا. لا ينفعونه، ولهذا لا يجوز للإنسان أن يذهب إلى قبر من يقال: إنه ولي، ويقول: يا سيدي أنا فقير فأغنني، إن قال هذا كَفَر وأشرك بالله، أو كما يقال: تأتي المرأة وتأخذ ترابًا من قبر من يقال إنه ولي، ثم تجعله في ماءٍ وتشربه من أجل أن يأتيها الولد، كل هذا لا حقيقة له، ولا صحة له، ولا يجوز، والولي لا ينفع إلا نفسه فقط في الحياة، ربما يدعو للشخص ويستجاب له أو لا يستجاب، أما بعد الموت فلا ينفع أحدًا.

***

(٩٣٤) يقول السائل أ. إ: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعنى: اجعلوا بيوتكم مكانًا تستقبلون فيه الناس، لأن في ذلك تَأْلِيفًا للناس، وفيه أيضًا كرم وخير. فالمعنى: اجعلوها قبلة يعني قبلة للناس يقصدونها، يأتون إليها ويشهدون ما أنتم عليه من الحق.

❁ سورة هود ❁

(٩٣٥) يقول السائل م. ز: ما هو التوفيق بين الآيتين الكريمتين في سورة هود أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥]، والآية الأخرى في سورة الإسراء: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الجمع بين الآيتين هو أن نقول: إن آية هود مُقَيَّدَةٌ بآية الإسراء، فقوله تعالى: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي: إذا شئنا، وتكون هذه الآية مُقَيَّدَةً بقوله تعالى: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾، وحينئذ ليس بين الآيتين تعارض.

وبالمناسبة أقول: إن كل نصين صحيحين لا يمكن التعارض بينهما، فالنصان من كتاب الله لا يمكن التعارض بينهما، والنصان من كلام الرسول ﷺ الثابتة عنه لا يمكن التعارض بينهما، فإذا وقع ما يوهم التعارض، إما أن يكون واهمًا حيث ظن حسب فهمه أن بينهما تعارضًا وليس بينهما تعارض، أو يكون جاهلًا بحيث يكون بينهما تعارض لكن هناك تخصيص، أو تقييد لا يفهمه هو، أولا يعلمه فيكون بذلك جاهلًا.

أما أن يقع التعارض حقيقة بين نصين من كتاب الله، أو نصين من سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه، فهذا أمر لا يمكن أبدًا، لأن كلام الله كله حق، وكلام النبي ﷺ الثابت عنه كله حق، والحقان لا يمكن أن يتعارضا، لأن فرض تعارضهما يستلزم أن يكون أحدهما حقًا والثاني باطلًا، وهذا منتفٍ في كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

فإذا ظننت التعارض بين نصين فعليك أن تتدبر النصين، فإن ظهر لك الجمع فذاك، والا فاسأل أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، فإن لم يتيسر لك ذلك فعليك أن تتوقف وتقول: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، فإن هذا هو شأن

obeikandl.com

الراسخين في العلم، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [آل عمران: ٧].

***

(٩٣٦) يقول السائل ص. ع. ح: هل معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠] أنه أمر لنوح عليه السلام أن يحمل معه من كل كائن حي زوجين للمحافظة على بقاء الكائنات الحية على الأرض؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا نرى أن الكثير من الكائنات الحية قد انقرضت، والبعض الآخر في طريقه للانقراض؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ظاهر الآية الكريمة كما ذكر السائل أن الله أمره أن يحمل فيها من كل -يعني: من كل شيء من الأشياء- زوجين اثنين، وذلك لبقاء هذا النوع، ولا يلزم أن يبقى هذا النوع إلى يوم القيامة، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد يقدر عليه انقراضًا أو قلة، أو انقراضًا في بعض الأماكن ووجودًا في بعض الأماكن، يعني: بقاءً في بعض الأماكن، وهذا لا ينافي الآية الكريمة، لأن الله تعالى لم يذكر فيها أن هذا المحمول في السفينة سيبقى نوعه إلى يوم القيامة حتى نقول: إن هذا يخالف الواقع، بل إن هذا النوع المحمول يبقى إلى أن يأذن الله تعالى بانقراضه.

***

(٩٣٧) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية الكريمة: أن الله تعالى قَسَّمَ الناس يوم القيامة قسمين، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ

مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨] ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين شقوا -وهم الكفار- فإنهم مخلدون في نار جهنم التخليد الأبدي، كما قال الله -تبارك وتعالى- في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩]، وقول تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وقال تعالى في سورة الجن: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

وقوله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [هود: ١٠٧] يعني: إلا ما شاء ربك مما زاد على دوام السموات والأرض، لأن دوام السموات والأرض له أجل محدود وليس أبديًّا، وأما أهل النار فإنهم خالدون فيها تخليدًا مؤبدًا.

وأما قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] فهو كالجواب عن سؤال يقال فيه: لماذا عذَّب الله تعالى أهل النار بالخلود فيها؟ فقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل.

❁ سورة يوسف ❁

(٩٣٨) يقول السائل ق. ن. م: في الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤] ما هو البرهان في هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البرهان ما جعله الله في قلبه من إنكار هذا الفعل، وكثيرًا ما يَهُمُّ الإنسان بالشيء، فإذا لم يبق إلا التنفيذ فتح الله له نورًا وتراجع، وهذا هو الذي حصل ليوسف -عليه الصلاة والسلام- أن إيمانه الذي في قلبه، وهو البرهان من الله -عز وجل- منعه أن ينفذ ما أمرت به سيدته، وهذا غاية ما يكون من العفة، امرأة تكبره مرتبةً في هذا الموضع، امرأة جميلة، أوصدت جميع الأبواب، وخلت به خلوةً تامة، ودعته لنفسها وامتنع، هذا غاية ما يكون من العفة.

وانظر إلى قصة الثلاثة الذين آووا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة عجزوا عنها، فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم، توسل الأول ببر والديه، وتوسل الثاني بأمانته وأداء الأمانة، توسل الثالث بالْعِفَّةِ، لأنه كان له بنت عم وكان يحبها حبًا شديدًا، وكان يراودها عن نفسها فتأبى، فألمت بها سنةٌ من السنين واحتاجت، وأتت إليه تطلبه المؤونة، فأبى إلا أن تمكنه من نفسها، ولضرورتها وافقت، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت له: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فغلبته التقوى وقام عنها وهي أحب الناس إليه[1].

انظر كمال العفة، الأمور أمامه متوفرة، والإنسان في أشد ما يكون شوقًا للفعل، لأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، لكن لما ذَكَّرَتْهُ بالله -عز وجل- قام وهي أحب الناس إليه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه، رقم (٢٢١٥)، ومسلم: كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

فيوسف -عليه الصلاة والسلام- توفرت له جميع الوسائل، لكن ما في قلبه من الإيمان والعفة والعصمة عن سفاسف الأمور أوجب له أن يدعها.

***

(٩٣٩) يقول السائل: في سورة يوسف يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] ما معنى البرهان هنا؟ وما المقصود منه؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وبرهان ربه الذي حال بينه وبين تنفيذ ما حصل فيه الهمُّ هو الإيمان والخشية والخوف من الله -عز وجل-، فإن الإنسان يحميه إيمانه بالله -عز وجل- وخوفه منه وخشيته له، يحميه أن يقع في أمر حرمه الله -عز وجل-، وكل من كان أعلم بالله كان منه أخوف وأشد منه خشية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فهو -عليه الصلاة والسلام- رأى برهان الله -عز وجل-، وهو النور الذي قذفه الله تعالى من الإيمان والخشية، فمنعه ذلك من حصول ما كان فيه الهم.

وأما القول بأن والده ظهر له في مخيلته يحذره من ذلك، فهو قول ضعيف لا تدل عليه الآية، وما ذكرناه هو المتعين واللائق في مقام يوسف -عليه الصلاة والسلام-.

***

(٩٤٠) يقول السائل: ورد في سورة يوسف اسم العزيز، فمن هو العزيز؟ هل هو فرعون؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا، العزيز ليس هو فرعون، ويوسف -عليه الصلاة والسلام- قَبْلَ فرعون بأزمان، ولهذا ذكَّر المؤمن من آلِ فرعون آلَ فرعون بمجيء يوسف أو برسالة يوسف، حيث قال لهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ [غافر: ٣٤]، ويوسف

بينه وبين موسى أزمان كثيرة، فليس العزيز هنا فرعون، وإنما العزيز ملك من ملوك مصر في ذلك الزمن.

obeikandl.com

❁ سورة الرعد ❁

(٩٤١) يقول السائل إ. م. ي. م: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] من سورة الرحمن؟ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الآية الأولى معناها: أن الله -سبحانه وتعالى- يُخْبِرُ إخبارًا يَعِد به من خاف مقام ربه بأن له جنتين، وهاتان الجنتان بين الله تعالى ما فيهما من النعيم المقيم من المأكول، والمشروب، والْمَنْكُوح، ترغيبًا لخوف الإنسان مقام ربه، أي: لخوفه من المقام الذي يقف فيه بين يدي الله -عز وجل-، هذا الخوف الذي يوجب له الاستقامة على دين الله، وعبادة الله تعالى حق عبادته، لأن من خاف الله -عز وجل- راقبه، وحَذَر من معاصيه، والتزم بطاعته، وثواب من أطاع الله -سبحانه وتعالى- واتقاه، ثوابه الجنة، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] إلى آخر ما ذكر الله من أوصافهم.

وأما الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فمعناها: أن الإنسان إذا استقام على طاعة الله، فإن الله تعالى ينعم عليه ويزيده من نعمه، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فأما إذا انحرف عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، فما دام الإنسان على طاعة الله، قائمًا بأمره مُجْتَنِبًا لنهيه فليبشر بالخير وبكثرة النعم، وبتحقيق قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، فأما إذا غَيَّرَ ما بنفسه من الإنابة إلى الله والإقبال عليه، وبارز الله تعالى بالعصيان، بفعل المحظورات وترك المأمورات، فإن الله تعالى يُغَيِّرُ عليه هذه النعمة.

obeikandl.com

❁ سورة إبراهيم ❁

(٩٤٢) يقول السائل: في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ما المقصود بالكلمة الطيبة، والشجرة الطيبة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما المقصود بالكلمة الطيبة فهي كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله.

وأما المقصود بالشجرة الطيبة فهي النخلة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. كذلك كلمة الإخلاص تؤتي ثمرتها بالعمل الصالح المقرب إلى الله -عز وجل-، فهي أصل وفروعها الأعمال الصالحة. ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في حديث عتبان بن مالك: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(١)]، لأن من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله فلا بد أن يأتي بالأعمال الصالحة التي تتم بها هذه الكلمة، ولهذا قال أهل العلم في تفسير كون كلمة الإخلاص مفتاح الجنة، إن المفتاح لا يكون إلا بأسنان، فلو أدخلت المفتاح وهو خَشَبَةٌ لتفتح به الباب لم يفتح إلا بأسنان، وأسنانها الأعمال الصالحة.

ولهذا كان القول الراجح المؤيد بالكتاب والسُّنَّة، وأقوال الصحابة، والنظر الصحيح أن تارك الصلاة تركًا مطلقًا كافر كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة، ولو اعتقد وجوبها وفرضيتها، وقد بَيَّنَّا في غير هذه الحلقة الأدلة من القرآن والسُّنَّة، وأقوال الصحابة، والنظر الصحيح على كفر تارك الصلاة كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة، وأنه يترتب على ذلك أحكام دنيوية وأحكام أخروية.

فليحذر المسلم أن يرتد كافرًا بعد إسلامه بتركه الصلاة تهاونًا، فماذا بقي

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد، رقم (٤٢٥)، ومسلم: كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (٣٣).

معه من الإسلام إذا ترك الصلاة؟ لا يمكن لإنسان أن يحافظ على ترك الصلاة وفي قلبه إيمان أبدًا، وهو يعرف مقدار الصلاة في الإسلام، وأهميتها عند الله، وأن الله فرضها على رسوله في السموات العلا، وفرضها خمسين صلاة، ثم جعلها خمس صلوات بالفعل لكنها خمسون في الميزان، وما ورد فيها من الفضائل والثواب، حتى إن الله تعالى يبتدئ الأعمال الصالحة بها ويختمها بها، كما في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وفي سورة المعارج: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢-٢٣] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، فتبدأ الأعمال بها وتختم بها، وفضائلها كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، فكيف يقال إن أحدًا يعلم بهذا أو بعضه ثم يحافظ على تركها ولا يصلي أبدًا، كيف يقال: إنه مسلم؟

obeikandl.com

❁ سورة الإسراء ❁

(٩٤٣) يقول السائل أ. ع. م: ما معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] الآية؟ وكيف كانت صفة الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية الكريمة: أن الله تعالى يسبح نفسه عن كل نقص وعيب، فإن سبحان اسم مصدر من سبح يسبح، والتَّسْبِيحُ هو التنزيه، والله -عز وجل- منزه عن كل نقص وعيب، منزه عن مماثلة المخلوقين، منزه عن الأنداد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقد أسرى الله تعالى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام، مسجد الكعبة الذي بمكة المكرمة، ليلًا إلى المسجد الأقصى الذي في فلسطين في القدس.

وكيفية الإسراء: أن جبريل -عليه الصلاة والسلام- أتى إلى النبي ﷺ بدابة يقال لها البراق، دون البغل وفوق الحمار، يضع خطوه في منتهى بصره، بمعنى: أن خطوته بعيدة جدًا تكون بقدر منتهى بصره، فوصل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس، ثم عُرِجَ به من هناك إلى السماء الدنيا بصحبة جبريل. ولما بلغ السماء استفتح جبريل فقيل له: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل له: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء. ثم ما زال جبريل يعرج به سماء بعد سماء حتى وصل إلى السماء السابعة، فوجد فيها إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-، وهناك رفعه الله -أي: رفع الله نبيه محمدًا ﷺ - حتى بلغ سدرة المنتهى، وفرض الله عليه الصلوات خمسين صلاة كل يوم وليلة، فقبل واستسلم -عليه الصلاة والسلام-، حتى نزل راجعًا، فمر بموسى فأخبره بما

فرض الله عليه وعلى أمته من الصلوات، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك واسأله التخفيف.

فما زال النبي -عليه الصلاة والسلام- يراجع الله -عز وجل- ويسأله التخفيف، حتى صارت الصلوات الخمسون خمس صلوات بالفعل، لكنها في الميزان خمسون صلاة، ثم رجع النبي ﷺ من ليلته إلى مكة.

واختلفت الروايات: هل صلى الفجر في مكة، أو صلى في بيت المقدس؟ وأصبح النبي ﷺ يحدث الناس به، فاتخذت قريش من ذلك فرصة لإظهار كذب النبي ﷺ، وقالوا: كيف يمكن ذلك؟ ولكن النبي ﷺ ألقمهم حجرًا حين قالوا: إن كنت صادقًا فصف لنا بيت المقدس، فرفع جبريل له بيت المقدس حتى كأن النبي ﷺ يشاهده فيصفه لقريش، فألقموا حجرًا بتكذيبهم النبي ﷺ، وتبين بذلك صدق النبي ﷺ.(١)

وأما قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، فهذا بيان للحكمة من الإسراء برسول الله ﷺ أن الله يريه من آياته العظيمة الدالة على قدرته وحكمته وتمام سلطانه، وقد رأى من آيات ربه الكبرى ما يكون عبرة للمعتبرين.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] يعني: أن الله تعالى هو السميع البصير الذي وسع سمعه كل صوت، قالت عائشة رضي الله عنها حين أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] قالت رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات! والله إني لفي طرف الحجرة وإنه ليخفى علي بعض حديثها، والرب -عز وجل- على عرشه فوق سبع سموات يسمع كلام هذه المرأة التي

---

(١) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٤).

تجادل النبي ﷺ في زوجها وتشتكي إلى الله، فهو -عز وجل- يسمع كل صوت وإن كان خفيًا.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] وإذا آمن الإنسان بهذه الصفة العظيمة صفة السمع فإن إيمانه بذلك يقتضي أن لا يُسمع الله تعالى ما يكون سببًا لغضبه على عبده.

وأما قوله: البصير، فالبصير معناه: الذي أدرك بصره كل شيء، وهو -سبحانه وتعالى- قد جمع بين هاتين الصفتين السمع والبصر، وهما من كمال صفاته -جل وعلا-، فما من شيء إلا والله -عز وجل- يراه وإن دق وخفي.

***

(٩٤٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الطائر هنا بمعنى العمل، يعني: كل إنسان ألزمه الله -عز وجل- عمله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وفي يوم القيامة يخرج الله له كتابًا يلقاه منشورًا، أي: مفتوحًا يقرؤه ويسهل عليه قراءته، هذا الكتاب قد كتبت فيه أعماله، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ٩-١٢]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، فهذا المكتوب يخرج يوم القيامة في كتاب يقرؤه الإنسان، ويقال له: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] قال بعض السلف: والله لقد أنصفك من جعلك حسيبًا على نفسك، يعني: أنه قال للإنسان: هذا الكتاب كتب عليك، حاسب نفسك أنت: هل عملت خيرًا فتجازى به، أو عملت شرًا فتجازى به؟.

إذًا المراد بالطائر هو العمل.

***

(٩٤٥) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معناها أن الله -سبحانه وتعالى- نهى الإنسان أن يجعل يده مغلولة إلى عنقه، وهذا يعني: لا تقبض اليد وتغلها إلى عنقك فتمنع من البذل الواجب، أو المستحب فتكون بخيلًا، ولا تبسطها كل البسط فتمدها وتبذل المال في غير وجهه، وذلك أن الناس في الإنفاق ينقسمون ثلاثة أقسام:

قسم مُقَتِّرٌ.

وقسم مُبَذِّرٌ.

وقسم متوسط.

والثالث منهم هو الذي على الحق وعلى الهُدَى، ولهذا امتدحهم الله -عز وجل- في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

***

(٩٤٦) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ينهى الله -سبحانه وتعالى- عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنفس التي حرم الله قتلها أربعة أصناف: المسلم، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، هؤلاء أربعةٌ من الناس نفوسهم معصومة، لا يجوز لأحدٍ أن يعتدي عليهم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ يعني: إذا قتلتم النفس التي حرم الله بالحق كالقصاص مثلًا فإن ذلك جائز، قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥]... الخ، وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ يعني: أن

الإنسان إذا قُتِلَ ظُلْمًا فلوليه -أي: ولي المقتول- أن يقتل القاتل، والسلطان هنا يشمل السلطان الكوني والقدري الشرعي.

أما الشرعي: فهو ما أباحه الله تعالى من القصاص.

وأما القدري: فإن الغالب أن القاتل لا بد أن يقتل، لا بد أن يعثر عليه ويقتل، ومن أمثال العامة السائرة قولهم: القاتل مقتول، يعني: لا بد أن الله تعالى يسلط عليه حتى يعثر عليه ويقتل.

وقوله: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾ أي: فلا يسرف ولي المقتول في القتل، أي: في قتل القاتل، بل يقتله كما قتل هو المقتول الأول.

وبه نعرف أنه يقتص من القاتل بمثل ما قتل، فمثلًا إذا قتله بالذبح ذبحناه، وإذا قتله بالرصاص رميناه بالرصاص، وإذا قتله بِرَضِّ رأسه بين حجرين رَضَضْنَا رأسه بين حجرين وهكذا.

وليعلم أن القصاص لا يستوفى إلا بحضرة السلطان ولي الأمر أو من يُنِيبُه، لئلا يعتدي أولياء المقتول في القصاص.

***

(٩٤٧) يقول السائل م. ن. أ: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢]؟ وما المراد بالعمى في الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المراد بالْعَمَى في الآية عَمَى البصيرة، يعني: فمن كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق لا يبصره، ولا يلتفت إليه، ولا يقبل عليه، فإنه في الآخرة يكون أشد عمىً وأضل سبيلًا، فلا يهتدي إلى طريق أهل الجنة، وإنما يكون مصيره النار والعياذ بالله.

***

(٩٤٨) يقول السائل: في سورة الإسراء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] كم عدد ركعات التهجد والنفل؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التهجد هو قيام الليل، «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة**»[(١)]، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة، هذا هو العدد الذي ينبغي للإنسان أن يقتصر عليه، ولكن مع تطويل القراءة و الركوع والسجود، فقد كان رسول الله ﷺ يطيل القراءة في صلاة الليل، كما جاء ذلك في حديث حذيفة وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال «**صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مُتَرَسِّلًا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ**»[(٢)]، **وقال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: «**صليت مع رسول الله ﷺ، فأطال حتى هممت بأمر سوء**»، **قال: قيل: وما هممت به؟ قال: «هممت أن أجلس وأدعه»**[(٣)]، فهذا يدل على أن النبي ﷺ يطيل في صلاة الليل، وهذا هو الأفضل وهو السُّنَّة، فإن كان يشق على الإنسان أن يطيل فليصل ما استطاع.

وأما النَّفْلُ فإن التهجد من النفل، لأن النفل في الأصل هو الزيادة، وكل تطوع في العبادة من صلاة أو صيام أو صدقة أو حج فهو نافلة، لأنه زائد على ما أوجب الله على العبد.

وليعلم أن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة، فالتطوع في الصلاة تكمل به فريضة الصلاة، والتطوع في الصدقة تكمل به الزكاة، والتطوع في الصيام يكمل به صيام رمضان، والتطوع في الحج يكمل به الحج؛ لأن الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، رقم (١١٤٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعاتها، رقم (٧٣٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، رقم (١١٣٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٣).

لا يخلو من نقص في أداء ما أوجب الله عليه من العبادات، فشرع الله تعالى له هذه النوافل رحمة به وإحسانًا إليه، والله ذو الفضل العظيم.

***

(٩٤٩) يقول السائل ع. ج. ح: من خلال قراءتي للقرآن الكريم وتكراره تبين لي أنه قد ورد ذكر النَّفْسِ بكثرة في عدة سورٍ من القرآن، بينما ذكر الروح لم يكن بتلك الكثرة، والروح التي يراد بها روح الإنسان لم ترد إلا مرةً واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهل هناك فرق بين الروح والنفس؟ وما هو؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الروح في الغالب تطلق على ما به حياة، سواءٌ كان ذلك حِسًّا أو معنى، فالقرآن يسمى روحًا، لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢]، لأن به حياة القلوب بالعلم والإيمان، والروح التي يحيا بها البدن تسمى روحًا كما في الآية التي ذكرها السائل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾.

أما النفس فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢]، وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه، فيقال مثلًا: جاء فلان نفسه، وكَلَّمَنِي نفس فلان وما أشبه ذلك، فتكون بمعنى الذات، فهما يفترقان أحيانًا ويتفقان أحيانًا بحسب السياق.

وينبغي من هذا أن يُعْلَمَ أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها، فقد تكون الكلمة الواحدة لها معنىً في سياق ومعنىً آخر في سياق، فالقرية مثلًا تطلق أحيانًا على نفس المساكن، وتطلق أحيانًا على الساكن نفسه، ففي قوله تعالى عن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت: ٣١] المراد بالقرية هنا المساكن، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا

﴿نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨] المراد بها الساكن، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] المراد بها المساكن، وفي قوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] المراد بها الساكن.

فالمهم أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها وبحسب ما تضاف إليه، وبهذه القاعدة المهمة المفيدة يتبين لنا رجحان ما ذهب إليه كثيرٌ من أهل العلم من أن القرآن الكريم ليس فيه مجاز، وأن جميع الكلمات التي في القرآن كلها حقيقة، لأن الحقيقة هي التي يدل عليها سياق الكلام بأي صيغةٍ كان، فإذا كان الأمر كذلك تبين لنا بطلان قول من يقول: إن في القرآن مجازًا.

وقد كتب في هذا أهل العلم وبَيَّنُوه، ومن أبين ما يجعل هذا القول صوابًا أن من علامات المجاز صحة نفيه، بمعنى: أن تنفيه وتقول: هذا ليس هذا، وهذا لا يمكن أن يكون في القرآن، فلا يمكن لأحدٍ أن ينفي شيئًا مما ذكره الله تعالى في القرآن.

***

(٩٥٠) يقول السائل ع. ي. و: أنا شاب مسلم ولكن في بعض الأحيان أفكر تفكيرًا أخشى منه، فقد عرفت أن القرآن يزيد المؤمن إيمانًا ويزيد الكافر كفرًا وعصيانًا، ثم أجلس وأقول: أليس القرآن واحدًا والإنسان أصله واحد، فكيف يحصل هذا التناقض؟ أرجو إقناعي مع ضرب الأمثلة للتقريب، وفقكم الله.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ما ذكره السائل من كون القرآن يزيد المؤمن إيمانًا ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا، هذا صحيح دل عليه الأمر الواقع كما نطق به القرآن، أما الأمر الواقع فَوَجْهُ ذلك أن المؤمن إذا قرأ القرآن واعتبر بما فيه من مواعظ وقصص، وصَدَّق الأخبار، واعتبر بالقصص، وامتثل للأحكام ازداد بذلك إيمانه بلا شك، والكافر أو المتمرد إذا قرأ القرآن فإنه يكذب

بالخبر، أو يشك فيه، ولا يعتبر بالقصص ويرى أنها أساطير الأولين، وكذلك في الأحكام لا يمتثل لأمر، ولا ينزجر عن النهي وكل هذا من موجبات نقص الإيمان، فينقص إيمانه ويزداد خسارًا، لأن القرآن كما قال النبي ﷺ: «**حجة لك أو عليك**»[1]، هذا مثال يوضح كيف يزيد إيمان المؤمن بالقرآن، وكيف يزيد الظالمين خسارًا.

أما الأمثلة على ذلك من الأمور الحسية، فإننا نرى صاحب الجسم السليم يأكل هذا النوع من الطعام فينتفع به جسمه وينمو ويزداد، ويأكله صاحب العلة الذي في جسده مرض فيزيد علته وربما يهلكه ويقتله، مع أن الطعام واحد، ومع ذلك اختلف تأثيره بحسب المحل، وكذلك القرآن واحد ويختلف تأثيره بحسب المحل.

***

(٩٥١) يقول السائل: ما معنى قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية نزلت في النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو في مكة، حين كان يقرأ القرآن ويرفع صوته بذلك، فلَحِقَهُ بهذا أذى من قريش، فأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فأرشده الله -عز وجل- إلى ما فيه الخير والسلامة من أذى هؤلاء المشركين، وقال: لا تجهر بصلاتك الجهر الذي يحصل به أذية عليك، ولا تخافت بها المخافتة التي تفوت بها المصلحة، بل اجعل هذا وسطًا بين ما تحصل به الأذية وبين ما تحصل به المصلحة، فلا تجهر الجهر الذي يؤذي، ولا تخافت المخافتة التي يفوت بها أو التي تفوت بها المصلحة.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣).

obeikandl.com

❁ سورة الكهف ❁

(٩٥٢) يقول السائل: ما حكم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة؟ وهل يداوم الإنسان على قراءة هذه السورة أم لا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قراءة سورة الكهف يوم الجمعة سُنَّةٌ وفيها أجر، والمداومة على ذلك سُنَّةٌ، لأنها من الأمور المشروعة في يوم الجمعة، فهي كالمداومة على التبكير يوم الجمعة وعلى ما يسن يوم الجمعة.

***

(٩٥٣) يقول السائل: هل صحيح أن من يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة يضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا ليس بصحيح، لكنه ورد حديث في فضل قراءتها يوم الجمعة لا ليلة الجمعة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يقرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، والاحتياط أن يكون ذلك من بعد طلوع الشمس، ولا فرق بين أن يقرأها قبل الصلاة أو بعد الصلاة.

***

(٩٥٤) تقول السائلة: هل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها عمل مندوب؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة عمل مندوب إليه وفيه فضل، ولا فرق في ذلك بين أن يقرأها الإنسان من المصحف أو عن ظهر قلب، واليوم الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وعلى هذا فإذا قرأها الإنسان بعد صلاة الجمعة أدرك الأجر، بخلاف الغسل يوم الجمعة، لأن الغسل يكون قبل الصلاة، لأنه اغتسال لها، فيكون مقدمًا عليها.

***

(٩٥٥) يقول السائل: قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] فهل معنى الآية كما فهمت أن المؤمنين يحل لهم الذهب في الآخرة كما يحل لهم الخمر في الآخرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: جواب هذا السؤال أن نقول: نعم إن المؤمنين في الجنة يَحِلُّ لهم أن يَتَحَلَّوُا بالذهب واللؤلؤ، وأن يلبسوا الحرير، وأن يشربوا الخمر، وهذا وإن كان محرمًا في الدنيا، لما يترتب عليه في الدنيا من الانصراف عن عبادة الله تعالى وطاعته بالاشتغال بهذه الأمور، أما في الآخرة فإن الآخرة دار جزاء لا دار تكليف، وإن كان أهل الجنة يسبحون الله -عز وجل- ويحمدونه ويثنون عليه بما هو أهله على وجه الشكر والمحبة في الثناء على الله -عز وجل-، وقد ذكر الله تعالى في حلية أهل الجنة أنها من لؤلؤ وذهب وفضة، كما قال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، وإذا اجتمعت هذه الأصناف على المكان الذي يتحلى فيه كان لها منظرٌ عجيب ورونقٌ بديع، وهذا من تمام سرورهم ونعيمهم. نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا منهم بمنه وكرمه.

***

(٩٥٦) يقول السائل: يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] فما هي الباقيات الصالحات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الباقيات الصالحات هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأمثالها مما يقرب إلى الله -عز وجل-. وإن شئت فقل: الباقيات الصالحات كل الأعمال الصالحة، لأنها تبقى للإنسان بعد موته، يجدها يوم القيامة أمامه، فهذه الباقيات الصالحات خيرٌ من الدنيا وما فيها، خيرٌ ثوابًا وخيرٌ أملًا.

***

(٩٥٧) يقول السائل: يقول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فما معنى هذه الآية؟ وإلى ماذا تشير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تشير هذه الآية إلى بيان عظمة الله -عز وجل-، وأنه -سبحانه وتعالى- لم يزل ولا يزال متكلمًا، لأنه لم يزل ولا يزال فعالًا، وكل فعل فإنه بإرادة منه -جل وعلا-، وإذا أراد أن يخلق شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، ومخلوقات الله -عز وجل- لا تزال باقية، فإن الجنة فيها خلود ولا موت، والنار فيها خلود ولا موت، وحينئذ يكون الله -عز وجل- دائمًا أزلًا وأبدًا ولا حصر لكلماته ولا منتهى لكلماته، فلو كان البحر مدادًا لكلمات الله - أي: حِبْرًا تكتب به كلمات الله -عز وجل- - لَنَفِدَ البحر قبل أن تنفد كلمات الله، لأن البحر له أمد ينتهي إليه، وكلمات الله -عز وجل- لا أمد لها.

وقد قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

***

(٩٥٨) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائل هنا قريش، سألوا النبي ﷺ عن ﴿ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾، وكانت قصته مشهورة ولاسيما عند أهل الكتاب، وهو ملك صالح كان على عهد الخليل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، ويقال: إنه طاف معه بالبيت فالله أعلم.

هذا الرجل الصالح مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من أسباب الملك كل سبب يتوصل به إلى الانتصار وقهر أعدائه.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] يعني: سلك طريقًا يوصله إلى مقصوده ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦]، فاستولى عليهم وخيَّرَهُ الله فيهم ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، فحكم بينهم بالعدل ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ

يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨]، ثم مضى متجهًا نحو مطلع الشمس ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠]، يحول بينهم وبين حَرِّها، ليس عندهم بناء ولا أشجار، وإنما يعيشون في النهار في السراديب وفي الكهوف، ثم في الليل يخرجون يلتمسون العيش، وكان الله -عز وجل- في جميع أحوال هذا الرجل عالِمًا به، يسير بِعِلْمٍ من الله -عز وجل- وهداية، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩١]، ثم مضى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ [الكهف: ٩٣] كانوا أعاجم لا تُفْهَمُ لغتهم ولا يفهمون لغة غيرهم، ولكنهم اشتكوا إلى هذا الملك الصالح إلى ذي القرنين بأن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، وهما أمتان من بني آدم، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح.

وتذكر روايات وأخبار إسرائيلية في هاتين الأمتين -أعني: في يأجوج ومأجوج- كلها لا أصل لها من الصحة، وإنما يأجوج ومأجوج من بني آدم، وعلى شكل بني آدم، كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله تعالى - يعني: يوم القيامة -يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك! فيقول: أخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، كلهم في النار إلا واحدًا من الألف. فَكَبُرَ ذلك على الصحابة فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الواحد؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: أبشروا فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج»**.[1] وهذا دليل واضح وصريح على أن يأجوج ومأجوج من بني آدم، سيكون شكلهم وأحولهم كأحوال بني آدم تمامًا، لكنهم من قوم طبعوا -والعياذ بالله- على الفساد في الأرض وتدمير مصالح الخلق وقتلهم، وغير ذلك مما يكون فسادًا في أرض الله -عز وجل-، فقالوا له: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٥)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، رقم (٣١٦٩).

﴿خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] أي: مالًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فأخبرهم بأن الله -سبحانه وتعالى- أعطاه من الملك والتمكين ما هو خير من المال الذي يعطونه إياه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥] أي: بقوة عملية، عمال وأدوات وما أشبه ذلك ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، ثم طلب منهم زُبَرَ الحديد أي: قطع الحديد، فصف بعضها على بعض حتى بلغت رؤوس الجبلين، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا﴾ [الكهف: ٩٦] فأوقدوا عليه النار ونفخوها حتى صار الحديد نارًا يلتهب، فأفرغ عليه قِطْرًا أي: نحاسًا مذابًا، حتى تماسكت هذه القطع من الحديد وصارت جدارًا حديديًا صلبًا، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أي: يظهروا فوقه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] أي: أن ينقبوه من أسفل، فكان ردمًا بين يأجوج ومأجوج وبين هؤلاء القوم.

وقصته معروفة مشهورة ذكرها الله تعالى في آخر سورة الكهف، فمن أراد أن يعرف المزيد من علمها فليقرأ ما كتبه أهل التفسير الموثوق بهم في هذه القصة العظيمة.

obeikandl.com

❁ سورة (مريم) ❁

(٩٥٩) يقول السائل س. ج. م: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١-٧٢]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ الضمير ﴿ هَا ﴾ يعود إلى النار ﴿ وَإِن ﴾ بمعنى ما، أي: ما منكم أحد إلا وارد على النار، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويَذَرُ الظالمين فيها جِثِيًّا. واختلف العلماء -رحمهم الله- في الورود المذكور في هذه الآية، فمنهم من قال: إن الورود الدخول فيها، أي: إن جميع الناس يدخلونها، ولكن المؤمنين لا يُحِسُّونَ بِحَرِّهَا، بل تكون عليهم بردًا وسلامًا كما كانت النار في الدنيا على إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بردًا وسلامًا، واستدل هؤلاء بأن الورود يأتي بمعنى الدخول، استدلوا بقوله تعالى عن فرعون: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] وبقوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦] وما أشبه ذلك.

وقال بعض أهل العلم: المراد بالورود في قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ [مريم: ٧١] المراد به العبور على الصراط، لأن الصراط يُمَدُّ فوق جهنم فيعبر الناس فيه على قدر أعمالهم، فهذا العبور على هذا الصراط هو الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ [مريم: ٧١]، وأيدوا قولهم بأن النبي ﷺ قال: إنه «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(١)، وذلك في صلح الحديبية حين بايع النبي ﷺ أصحابه تحت شجرة هناك، وأنه ثبت في الصحيحين من حديث عتبان بن مالك: «**إن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رضي الله عنهم، رقم (٢٤٩٦).

(٢) تقدم تخريجه.

فقوله: «**حرَّم على النار**»، وقوله في الحديث الذي قبله: «**لا يدخل النار أحد**» يدل على أن المؤمنين لا يدخلون النار، وإذا كان كذلك تَعَيَّنَ أن يكون المراد بالورود هو الورود فوقها، وكلا القولين له وجه، والعلم عند الله تعالى.

ولكن المهم أن نعلم علم اليقين أن من مات من أهل الكبائر فإنه إذا دخل النار يعذب بقدر ذنوبه، ثم يَخرج منها إن شاء الله تعالى أن يعذبه، وقد يغفر الله له، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ولكن ينبغي للإنسان، بل يجب عليه أن يبادر بالتوبة من كل معصية، لأنه لا يدري فربما لا يكون داخلًا تحت مشيئة الله المغفرةَ له، فإن من مات بدون توبة من كبائر الذنوب غير الكفر والشرك فإنه يخشى ألا يغفر الله له، لأن الله قَيَّدَ المغفرة له بالمشيئة فقال: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فلا ينبغي أن يتخذ بعض الناس هذه الآية سبيلًا إلى التهاون بالتوبة وعدم المبالاة بفعل الكبائر، إذ لا يدري أيدخل فيمن شاء الله أن يغفر له أم لا يدخل؟ فهو على خطر حتى يتوب إلى الله توبة نصوحًا.

***

(٩٦٠) تقول السائلة ن: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] ما معنى هذه الآية الكريمة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الله تعالى يقول: ما منكم أحد إلا وارد للنار، وهذا الخبر كان حتمًا على الله -عز وجل- مقضيًا لا بد منه، ولكن بعد هذا الورود ينقسم الناس قسمين:

قسم قد اتقى الله -عز وجل- وقام بما يلزمه من شرائع الله في الدنيا، فينجيه الله -عز وجل- من النار.

وقسم آخر ظالم لنفسه مُضَيِّعٌ لحق الله -عز وجل-، فهذا يترك في النار جاثيًا.

واختلف العلماء في المقصود بالورود هنا، فمنهم من قال: إن المراد بالورود المرور على متن جهنم، على الصراط الذي يوضع على متن النار، فيُكَرْدَسُ من كان ظالمًا في النار، ويعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج، ومن كان مُتَّقِيًا فإنه ينجو ولا يُكَرْدَسُ في النار.

ومنهم من قال: إن الورود هو الوقوع في النار نفسها، وإن كل واحد يدخل النار، ولكن المتقين لا تضرهم النار شيئًا، ولا يجدون شيئًا من عذابها.

***

(٩٦١) يقول السائل: ما معنى الورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نحن نشكر السائل على سؤاله عن معنى هذه الآية الكريمة، ونرجو أن يحتذي المسلمون حذوه في البحث عن معاني آيات القرآن الكريم، وذلك لأن الله أنزل الكتاب وبَيَّنَ الحكمة من إنزاله، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فوصف الله تعالى القرآن بأنه مبارك، لبركته في آثاره وفي ثوابه، وبَيَّنَ الحكمة من إنزاله، وجعل ذلك في شيئين:

الأمر الأول: ليدَّبَّروا آياته، أي يتفهموها ويتفكروا في معانيها مرةً بعد أخرى، حتى يصلوا إلى المراد منها.

والأمر الثاني: أن يتذكر أولو الألباب، والتذكر يعني الاتِّعَاظ والعمل بما علم الإنسان من معاني الآيات الكريمة، ولا يمكن العلم في معاني آيات القرآن الكريم إلا بالبحث ومراجعة أهل العلم.

وعلى هذا فنقول: إنه ما منكم من أحد إلا وارد النار، أي: سَيَرِدُهَا.

واختلف العلماء في الورود المقصود من هذه الآية، فقيل: معنى الورود أن الإنسان يقع في النار، لكنها لا تضره بشيء، كما أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ألقي في النار فقال الله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾

[الأنبياء: ٦٩]، فكانت بردًا وسلامًا عليه، فيَرِدُ الناس النار ويسقطون فيها، وإذا كانوا لا يستحقون العقوبة بها لم تضرهم شيئًا.

وقال بعض العلماء: المراد بالورود العبور على الصراط، والصراط هو الجسر الموضوع على جهنم -أعاذنا الله والمسلمين منها- فيمر الناس على هذا الصراط على قدر أعمالهم، وهو ممرٌ دحضٌ ومَزَلَّة، وعليه الكلاليب تخطف الناس بأعمالهم، والمرور عليه بحسب العمل في الدنيا، فمن الناس من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، ومنهم من يُخْطَف ويلقى في جهنم.

وهذا المرور على قدر قبول الإنسان لشريعة الله في الدنيا، فمن قبلها بانشراح واطمئنان وسارع فيها وتسابق إليها فإنه سوف يمر على هذا الصراط سريعًا ناجيًا، ومن كان دون ذلك فعلى حسب عمله.

ففي معنى الورود المذكور في الآية قولان:

القول الأول: الوقوع في جهنم، لكن لا تضر من لم يكن مستحقًا للعذاب فيها.

والثاني: العبور على الصراط الموضوع على جهنم.

***

(٩٦٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، هل معنى ذلك أن الكافر والمسلم لا بد أن يَرِدُوهَا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، أما ورود الكافر النار فهذا أمر ظاهر ولا إشكال فيه، كما قال الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وأما المؤمنون فإن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فقد اختلف أهل التفسير في المراد بالورود هنا، فقال بعض المفسرين: إن المراد بالورود ورود الناس على

الصراط، لأن الصراط منصوب على جهنم، فإذا مر الناس عليه فهذا ورود لجهنم وإن لم يكونوا في داخلها، والورود يأتي بمعنى القرب من الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٢٣] أي: قَرُبَ حوله، وليس معناه أنه دخل في وسط الماء.

وقال بعض المفسرين: إن المراد بالورود دخول النار، لكن من دخلها من غير المذنبين فإنه لا يحس بها، فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم عليه السلام، أي: كما كانت نار الدنيا بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام، والله أعلم.

obeikandl.com

❁ سورة (طه) ❁

(٩٦٣) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ١٨]؟ ما تفسير ذلك؟ وما هي المآرب الأخرى؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تفسير ذلك أن الله -عز وجل- سأل موسى -عليه الصلاة والسلام- عن العصا التي معه، وهو -سبحانه وتعالى- يعلم ولا يخفى عليه ذلك، لكن ليبين لموسى أن هناك شأنًا أعظم مما كان يستعملها فيه، فبيَّنَ موسى -عليه الصلاة والسلام- مقاصده بهذه العصا فقال: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ يعني: أعتمد عليها عند الحاجة، ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ يعني: أنني أهش ورق الشجر على الغنم حتى تأكله، وأن له مآرب أخرى فيها، يعني: حاجات أخرى كالدفاع عن النفس فيما لو صال عليه أحد، وكقتل المؤذيات من حيةٍ أو عقرب، وكضرب الناقة أو الجمل التي يركبها، وغير ذلك مما هو معلوم من مصالح العصا.

ثم قال -عز وجل-: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٩-٢٠]، وهذه هي النتيجة من سؤال الله تعالى له عن هذه العصا، وأن هناك شأنًا أعظم وأشد مما كان يتخذ هذه العصا له، وهي أنه يلقيها فتكون حية تسعى ذات روح، وقد حصل لهذه الحية أنها التقطت كل ما صنعه السحرة الذين جمعهم فرعون ليكيد بهم موسى -عليه الصلاة والسلام-، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

❁❁❁

❁ سورة (الحج) ❁

(٩٦٤) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الحج: ٣٦]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: البُدْنُ جمع بَدَنَة، وهي الإبل، جعلها الله تعالى من شعائر دينه، يتقرب بها المسلم إلى ربه بنحرها والأكل منها وتوزيعها، ولهذا أمر الله تعالى أن نذكر اسم الله عليها، وذلك عند نحرها، تنحر صواف أي: على ثلاث قوائم، لأن السُّنَّة في الإبل أن تنحر وهي قائمة معقولة اليد اليمنى، فيأتيها الناحر من الجانب الأيمن ويطعنها بالحربة في الوهدة التي بين أصل العنق والصدر، ثم تسقط بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي: سقطت على الأرض ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ القانع: الفقير الذي لا يَسْأَلُ، والمعتر: الفقير الذي يَسْأَلُ، ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يعني: مثل هذا التسخير والتذليل سخرها الله -عز وجل- وذللها، ولو سلطها لكنا لا نستطيع ركوبها وذبحها، لكبر جسمها وقوتها، ولكن الله تعالى ذللها لعباده وسخرها لهم، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٢]، ذللها الله لنا نركبها ونأكل منها.

أرأيت الذئب أصغر منها جسمًا وأقل منها قوة؟ ومع ذلك حيث لم يسخر لنا لا نستطيع أن ننتفع به، بل ربما يَعْدُو علينا ويضرنا، وهذه الإبل مع قوتها وكبر جسمها مذللة، حتى إن الصبي يقودها بمقودها إلى منحرها وهي مطيعة ذليلة.

والإبل يُتَقَرَّبُ إلى الله تعالى بنحرها في الهدي والأضحية، وأما العقيقة عن المولود فمن العلماء من قال: إنه يُعَقُّ بها عن المولود لكنها لا تجزئ إلا عن شاة واحدة، ومنهم من قال: لا يعق، لأن العقيقة إنما وردت في الضأن والمعز.

ولكن القول الراجح أنه لا بأس أن يَعُقَّ الإنسان عن ابنه بناقة، أو جمل، أو بقرة، أو ثور، لكن الشاة أفضل منها.

***

(٩٦٥) يقول السائل أ. ح: ما معنى قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية معناها أن الله -سبحانه وتعالى- شبه المشرك بالله بمن خَرَّ من السماء من فوق من مكان عالٍ، ولكنه لم يستقر على الأرض، لم يكن له قرار، هوت به الريح أو خطفه الطير ولم يكن له قرارٌ على الأرض التي قصدها، وهكذا المشرك بالله -عز وجل- لا يستفيد ممن أشرك به شيئًا، ولا يصل به إلى مقصوده، لأن هذا الوثن الذي عبده من دون الله -سبحانه وتعالى- لا يغني عنه من الله شيئًا، فهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر عابديهم، ولا يملكون لهم نفعًا ولا ضرًّا.

وقد شبه الله -سبحانه وتعالى- هؤلاء المعبودين وعابديهم بباسط يده إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، كالرجل يمد يده إلى الماء وهو باسطٌ لها ليصل الماء إلى فمه، وهذا لا يمكن.

وكذلك شبه عبادة الأصنام مع معبوديها بالعنكبوت اتخذت بيتًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فكل من تعلق بغير الله، وعبده وتقرب إليه بالعبادة، أو استغاث به، أو استعانه في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله فإنه مشركٌ بالله -عز وجل- شركًا أكبر مخرجًا عن الملة، فعليه أن يتوب إلى ربه، وأن يخلص العبادة له، قبل أن يفجَأَهُ الموت فلا تنفعه التوبة.

❁ سورة (المؤمنون) ❁

(٩٦٦) يقول السائل ع. أ: ما معنى الآية الكريمة: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]؟ ما هي هذه الشجرة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الشجرة شجرة الزيتون، فإنها مباركة يخرج منها أيضًا هذا الدهن الزيت يكون صبغًا للآكلين، يعني: إداما لهم.

***

(٩٦٧) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن الله أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يستعيذ ربه من همزات الشياطين، وهي ما تُلْقِيهِ في قلب الإنسان من الوساوس والإيرادات السيئة، وأن يستعيذ ربه من أن يَحْضُرُوه في أفعاله، في عبادته، في مأكله، في مشربه، في جميع أحواله، وأخص شيء في ذلك حضورهم عند الموت، فإن الشيطان يحضر عند الموت، ويحرص غاية الحرص على أن يُضِلَّ بني آدم، لأنه في تلك اللحظة تكون السعادة أو الشقاوة.

نسأل الله أن يختم لنا وللمسلمين بحسن الخاتمة.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أمر له وللأمة، لأن النبي ﷺ هو الرسول المتبع والإمام المطاع، وعلى هذا فيكون مشروعًا لنا أن نستعيذ بالله من همزات الشياطين، ومن أن يحضرونا.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة النور ❁

(٩٦٨) يقول السائل ع. م. ف: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سؤال هذا الرجل من أجود الأسئلة وأحبها إليَّ، وذلك أنه سؤال عن تفسير آية من كلام الله -سبحانه وتعالى- الذي هو خير الكلام، والذي أود من جميع إخواني المسلمين ولا سيما طلبة العلم أن يعتنوا به، فإن العلوم تشرف بحسب معلوماتها، ولاشك أن أفضل المعلومات وأشرفها هو العلم بكتاب الله -سبحانه وتعالى-، فأدعو جميع المسلمين ولا سيما طلبة العلم إلى أن يتفهموا كلام الله -سبحانه وتعالى-، حتى يستطيعوا تنفيذه والعمل به، فإن النبي ﷺ قال: «**خيرُكم من تعلّم القرآن وعلّمه**»(١).

أما الآية التي سأل عنها: فإن الله -تبارك وتعالى- يأمر أن نَجْلِدَ الذين يرمون المحصنات، ومعنى يرمونهن أي: يقذفونهن بالزنى فيقولون: هذه المرأة زانية وما أشبه ذلك، والْمُحْصَنَةُ هي المرأة الحرة العفيفة عن الزنى، فإذا قذفها الإنسان بالزنى فإنه يكون بذلك مُدَنِّسًا لعرضها مفتريًا عليها، وحينئذٍ يجلد ثمانين جلدة، وإنما قلت: مفتريًا عليها مع أنه قد يكون صادقًا، لأنه إذا لم يأت بأربعة شهداء فهو كاذب عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣].

وفي الآية الكريمة التي سأل عنها السائل رَتَّبَ الله -سبحانه وتعالى- على القذف ثلاثة أمور:

الأمر الأول: ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾.

والأمر الثاني: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾.

والأمر الثالث: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧).

فهم يجلدون ثمانين جلدة حد القذف، ولا تقبل شهادتهم بعد ذلك أبدًا على أي شيء شهدوا، وهم فاسقون يحكم بفسقهم ولا يتولون أمرًا تشترط فيه العدالة، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنهم يزول عنهم وصف الفسق، وكذلك يزول عنهم منع الشهادة على القول الراجح، وأما الحد فلا يسقط عنهم بتوبتهم، لأنه حق لآدمي، فلا بد من أن يَنْفَذَ.

***

(٩٦٩) تقول السائلة أ. أ: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]؟ وهل لبس القفازات واجب على المرأة؟ حيث إنني ألبس القفازات، وزوجي يرفض لبس القفازات بحجة أنها ليست واجبة، أفيدونا مأجورين.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النهي، أي: نهي النساء أن يظهرن زينتهن، أي: لباسهن الذي تتزين به المرأة ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: إلا الذي لا بد من ظهوره، وهو العباءة التي تكون فوق القميص ونحوه، هذا هو القول الراجح في معنى الآية الكريمة.

ومن ذلك -أي: من عدم إظهار الزينة- أَلَّا تظهر المرأة ما تلبسه من الحلي وشبهه، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وأما لبس القفازين فإن ذلك من عادة نساء الصحابة رضي الله عنهن، ودليل هذا أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- **«نهى الْمُحْرِمَة أن تلبس القفازين»**[1]، وهذا يدل على أن من عادتهن -أي: من عادة نساء الصحابة- أن يلبسن القفازين، وعلى هذا فينبغي للزوج أن يفرح بِلُبْسِكِ القفازين، لأن هذا من عادة نساء الصحابة رضي الله عنهن، فإن أَبَى إلا أن تمتنعي من لباس القفازين فاستُرِي يديك بطرف العباءة ونحو ذلك.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة، رقم (١٨٣٨).

(٩٧٠) يقول السائل: ما المراد بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية الكريمة أنه كان أناس في الجاهلية يكرهون فتياتهن -أي: مملوكاتهن من الإماء- على الزنى من أجل الاكتساب من ورائهن، فنهاهم الله عن ذلك وقال: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وفي قوله: ﴿أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ إظهار اللوم والتوبيخ لهؤلاء الأسياد الذين يُكْرِهُون إماءهم على الزنى، فإنه قال: كيف تكون هذه الْأَمَةُ وهي أَمَةٌ تريد التحصن ثم تكرهها أنت على الزنى من أجل عرض الدنيا؟ ففيه من اللوم والتوبيخ ما هو ظاهر، وليس شرطًا في الحكم، بمعنى: أنها لو لم ترد التحصن فلك أن تكرهها، لا ولكن هذا المقصود به إظهار اللوم والتوبيخ لهؤلاء الأسياد بالنسبة لإكراههم فتياتهم على البِغَاءِ.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: إن من أُكْرِهَتْ على هذا الأمر فإن الله تعالى يغفر لها إذا ثبت الإكراه، ولهذا قال: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فإن الْمُكْرَهُ لا إثم عليه، سواء أكره على قول أو على فعل، إذا لم يفعله بعد الإكراه رغبة منه.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: إذًا المغفرة والرحمة هنا عائدة على الفتيات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم المغفرة والرحمة عائدة على الفتيات.

***

(٩٧١) يقول السائل: يفسر بعض العلماء الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] بأنه نور المؤمن، فما الصواب في هذا؟ علمًا بأنهم يقولون: إذا فسر بنور الله صار فيه تشبيه، ونحن نعلم بأن الضمير كما يقول علماء اللغة يعود على أقرب مذكور؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم ورد عن السلف في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: مثل النور الذي يؤتيه في قلب المؤمن كمشكاةٍ فيها مصباح، وهذا لا يخرج عن نطاق اللغة العربية، لأن الله قد يضيف المخلوق إليه من باب التشريف والتكريم، كما في: بيت الله، وناقة الله، ومساجد الله، فيكون المعنى: مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاةٍ فيها مصباح.

والمشكاة كوة تكون في الجدار مُقَوَّسَةٌ يوضع فيها المصباح، وهذا المصباح في زجاجة، الزجاجة صافية كأنها كوكبٌ دُرِّي، وهذا النور يوقد من شجرةٍ مباركة زيتونة لا شرقية تنحجب عن الشمس عند غروبها، ولا غربيةٍ تنحجب عن الشمس عند شروقها، بل هي في أرضٍ واسعة فلاة، لأن هذا يؤدي إلى أن يكون زيتها من أجود الزيوت، وهذا تفسيرٌ واضح لا إشكال فيه.

***

(٩٧٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية أن القواعد -وهن العجائز اللاتي قعدن في البيوت- ولا يرجون نكاحًا -يعني: ما يأملن أن يتزوجهن أحد لكبر سنهن- ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن، يعني: الثياب التي تستر المرأة كلها، فلها أن تكشف الوجه والكفين والرجلين، بشرط ألا تكون متبرجة بزينة، بمعنى: ألا تلبس ثيابًا تفتن بها غيرها.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: فلا يضعن ثيابهن، بل تستر المرأة نفسها كلها عن الرجال غير المحارم ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هذا وَهُنَّ القواعد، فكيف بالشابات اللاتي يكشفن وجوههن وأكفهن وأقدامهن عند إخوان أزواجهن، أو أبناء أعمامهم، أو ما أشبه ذلك مما جرت به عادة بعض الناس؟ أو تكشف

هذا للأجانب في الأسواق وغيرها؟ لكن لبعد الناس عن تَدَبُّرِ القرآن والسُّنَّة، ولتحكم العادات فيهم صار ما صار من التبرج وعدم المبالاة.

نسأل الله أن يَرُدَّنَا جميعًا إلى ما فيه خيرنا وسعادتنا في الدنيا وفي الآخرة.

obeikandl.com

❁ سورة الشعراء ❁

(٩٧٣) يقول السائل: قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]، وقال في موضع آخر: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، فما معنى هذه الآيات؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآيات كما سمعنا جميعًا ذكر بعضها بالإفراد، وبعضها بالتثنية، وبعضها بالجمع، وقد يفهم الإنسان بادئ ذي بدء أن هناك تعارضًا بين هذه الآيات، وأقول: إنه لا تعارض في القرآن الكريم أبدًا، فالقرآن الكريم لا يتعارض بعضه مع بعض، ولا يتعارض مع ما صَحَّ عن النبي ﷺ، فإذا وجدت شيئًا متعارضًا فاطلب وجه الجمع بين هذه التي تظن أنها متعارضة، فإن اهتديت إلى ذلك فذلك المطلوب، وإن لم تهتد إليه فالواجب عليك أن تقول كما يقول الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، واعلم أنه إنما يتوهم التعارض بين القرآن، أو بينه وبين ما صح عن النبي ﷺ من كان قاصرًا في العلم أو مُقَصِّرًا في التدبر، وإلا فإن الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وإنما قدمت هذه المقدمة لأجل أن تعم الفائدة.

أما الجواب على السؤال فنقول: إن الإفراد في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يراد به الجنس، وما أريد به الجنس فإنه لا ينافي التعدد.

وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾، فإن المراد بالمشرقين ما يكون في الصيف وفي الشتاء، يعني: آخر مشرق للشمس في أيام الصيف، وآخر مشرق للشمس في أيام الشتاء، يعني معناه: مدار الشمس أو انتقال الشمس من مدار الجدي إلى مدار السرطان، تكون في آخر هذا في أيام الصيف، وفي آخر هذا في أيام الشتاء، هذا أكبر دليل على قدرة الله -عز وجل-، حيث يَنْقِل هذا الْجُرْم العظيم وهذه الشمس العظيمة من أقصى

الجنوب إلى أقصى الشمال وبالعكس، وهذا من تمام قدرة الله -عز وجل- أن تنتقل من الشمال إلى الجنوب فهذا معنى المشرقين، أي: مشرقا الصيف والشتاء.

وأما قوله: ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ بالجمع فقيل: إن المراد مشرق الشمس ومغربها كل يوم، فإن لها في كل يوم مشرقًا ومغربًا غير المشرق والمغرب في اليوم الذي قبله أو اليوم الذي يليه، والله تعالى على كل شيءٍ قدير. وقيل: المراد بالمشارق والمغارب مشارق الشمس والنجوم والقمر، فإنها تختلف، فيكون الجمع هنا باعتبار ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم.

وعلى كل حال فالله تعالى رب هذا كله، وهو المدبر -سبحانه وتعالى-، والمتصرف فيه كما تقتضي حكمته.

***

(٩٧٤) يقول السائل: ما معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا من دعاء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، سأل الله تعالى أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، أي: أن يجعل له من يثني عليه في الآخرين ثناء صدق، وقد استجاب الله تعالى دعاءه، فكان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- محل الثناء في كتب الله -عز وجل-، وفي ألسنة رسله، حتى إن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فالثناء على إبراهيم حصل في الآخرين، حتى إن اليهود قالوا: إن إبراهيم كان يهوديًّا، والنصارى قالوا: إن إبراهيم كان نصرانيًّا، فأنكر الله ذلك وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، والمقصود أن

هذه الأمم كلها تفتخر أن يكون إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- منها، لكنها كاذبة ما عدا المسلمين، واليهود والنصارى ليسوا على هذا الوصف بل هم كفار: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقد كذبهم الله تعالى في ذلك في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وفي سورة الإخلاص قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

***

(٩٧٥) يقول السائل: في كتاب الله ورد ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] هل الغاوون هم الشياطين؟ وما معنى ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الغاوون جمع الغاوي، وهو كل من خالف طريق الرَّشَدِ، ومعنى يتبعهم الغاوون أي: يأخذون بهم بأقوالهم وشِعْرِهِمْ من المدح والذم والرثاء والهجاء، وغير ذلك مما يكون مخالفًا للشرع من أقوال الشعراء، فتجد أهل الغواية يتبعون هؤلاء ويعتدون بأقوالهم، ويَسُبُّونَ الناس بما يقولون من هذه الأشعار، ولكن هذا ليس عامًا لكل شاعر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

❁ سورة النمل ❁

(٩٧٦) يقول السائل س. ع. ع: ما معنى قوله تعالى في سورة النمل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية أن سليمان -عليه الصلاة والسلام- لما علم بملكة سبأ الْمُشْرِكَةِ، التي تسجد هي وقومها للشمس من دون الله، أرسل إليها والقصة معروفة في سورة النمل، فجاءت إلى سليمان -عليه الصلاة والسلام- فبنى صَرْحًا من قوارير زجاج يحسبه الرائي ماءً، فجاءت هذه المرأة فحسبته ماءً، فكشفت عن ساقيها فقال: إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير، وإنما قصد سليمان -والله أعلم- أن يُبَيِّنَ لها ضعفها، ولهذا قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

***

(٩٧٧) تقول السائلة ا. م. أ: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]؟ وهل يستدل بهذه الآية على صحة القول بدوران الأرض؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: بالنسبة لسؤال المرأة عن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فهذه الآية في يوم القيامة، لأن الله ذكرها بعد ذكر النفخ في الصور وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٧-٨٩]، فالآية هذه في يوم القيامة بدليل ما قبلها وما بعدها وليست في الدنيا، وقوله: تحسبها جامدة أي ساكنة لا تتحرك، ولكنها تمر مر السحاب، لأنها تكون هباءً منثورًا يتطاير.

وأما الاستدلال بها على صحة دوران الأرض فليس كذلك، هذا الاستدلال غير صحيح، لما ذكرنا من أنها تكون يوم القيامة.

ومسألة دوران الأرض وعدم دورانها الخوض فيها في الواقع من فضول العلم، لأنها ليست مسألة يتعين على العباد العلم بها ويتوقف صحة إيمانهم على ذلك، ولو كانت هكذا لكان بيانها في القرآن والسُّنَّة بيانًا ظاهرًا لا خفاء فيه، وحيث إن الأمر هكذا فإنه لا ينبغي أن يُتْعِبَ الإنسان نفسه في الخوض بذلك، ولكن الشأن كل الشأن فيما يذكر من أن الأرض تدور وأن الشمس ثابتة، وأن اختلاف الليل والنهار يكون بسبب دوران الأرض حول الشمس، فإن هذا القول باطل يبطله ظاهر القرآن، فإن ظاهر القرآن والسُّنَّة يدل على أن الذي يدور حول الأرض أو يدور على الأرض هي الشمس، فإن الله يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨] فقال: تجري فأضاف الجريان إليها وقال: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧] فهنا أربعة أفعال كلها أضافها الله إلى الشمس: إذا طلعت، تزاور، وإذا غربت، تقرضهم، هذه الأفعال الأربعة المضافة إلى الشمس ما الذي يقتضي صرفها عن ظاهرها، وأن نقول: إذا طلعت في رأي العين، وتتزاور في رأي العين، وإذا غربت في رأي العين، وتقرضهم في رأي العين؟ ما الذي يوجب لنا أن نُحَرِّفَ الآية عن ظاهرها إلى هذا المعنى سوى نظريات أو تقديرات قد لا تبلغ أن تكون نظرية لمجرد أوهام؟ والله تعالى يقول: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥١]، والإنسان ما أوتي من العلم إلا قليلًا، وإذا كان يجهل حقيقة روحه التي بين جنبيه كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فكيف يحاول أن يعرف هذا الكون الذي هو أعظم من خلقه؟ كما قال الله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

فنحن نقول: إن نظرية كون اختلاف الليل والنهار من أجل دوران الأرض على الشمس، هذه النظرية باطلة، لمخالفتها لظاهر القرآن الذي تكلم به الخالق -سبحانه وتعالى-، وهو أعلم بخلقه وأعلم بما خلق، فكيف نُحَرِّفُ كلام ربنا عن ظاهره من أجل مجرد نظريات اختلف فيها أيضًا أهل النظر؟ فإنه لم يزل القول بأن الأرض ساكنة وأن الشمس تدور عليها، لم يزل سائدًا إلى هذه العصور المتأخرة، ثم إننا نقول: إن الله تعالى ذكر أنه يُكَوِّرُ الليل على النهار ويكور النهار على الليل، والتكوير بمعنى التدوير، وإذا كان كذلك فمن أين يأتي الليل والنهار إلا من الشمس؟ وإذا كان لا يأتي الليل والنهار إلا من الشمس دل هذا على أن الذي يلتف حول الأرض هو الشمس، لأنه يكون كذلك بالتكوير.

ثم إن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه وقد غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب**»؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب فتسجد تحت العرش**» إلى آخر الحديث[1]، وهذا دليل على أنها هي التي تتحرك نحو الأرض، لقوله: «**أتدري أين تذهب**»؟ وفي الحديث المذكور قال: «**فإن أذن لها وإلا قيل: ارجعي من حيث جئت، فتخرج من مغربها**»، وهذا دليل على أنها هي التي تدور على الأرض، وهذا الأمر هو الواجب على المؤمن اعتقاده، عملًا بظاهر كلام ربه العليم بكل شيء، دون النظر إلى هذه النظريات التالفة والتي سيدور الزمان عليها ويُقْبِرُهَا كما قَبَرَ نظريات أخرى بالية، هذا ما نعتقده في هذه المسألة.

أما مسألة دوران الأرض فإننا كما قلنا أولًا ينبغي أن يعرض عنها، لأنها من فضول العلم، ولو كانت من الأمور التي يجب على المؤمن أن يعتقدها إثباتًا أو نفيًا لكان الله تعالى يُبَيِّنُها بيانًا ظاهرًا، لكن الخطر كله أن نقول: إن الأرض

---

(١) تقدم تخريجه.

تدور وإن الشمس هي الساكنة، وإن اختلاف الليل والنهار يكون باختلاف دوران الأرض، هذا هو الخطأ العظيم، لأنه مخالف لظاهر القرآن والسُّنَّة، ونحن مؤمنون بالله ورسوله، نعلم أن الله تعالى يتكلم عن علم، وأنه لا يمكن أن يكون ظاهر كلامه خلاف الحق، ونعلم أن النبي ﷺ يتكلم كذلك عن علم، ونعلم أنه أنصح الخلق، وأفصح الخلق، ولا يمكن أن يكون يأتي في أمته بكلام ظاهره خلاف ما يريده ﷺ، فعلينا في هذه الأمور العظيمة، علينا أن نؤمن بظاهر كلام الله، وسنة رسوله ﷺ، اللهم إلا أن يأتي من الأمور اليقينيات الحسيات المعلومة علمًا يقينيًا بما يخالف ظاهر القرآن، فإننا في هذه الحالة يكون فهمنا بأن هذا ظاهر القرآن غير صحيح، ويمكن أن نقول: إن القرآن يريد كذا وكذا مما يوافق الواقع المعين المحسوس الذي لا ينفرد فيه أحد، وذلك لأن الدلالة القطعية لا يمكن أن تتعارض، أي: إنه لا يمكن أن يتعارض دليلان قطعيان أبدًا، إذ إنه لو تعارضا لأمكن رفع أحدهما بالآخر، وإذا أمكن رفع أحدهما بالآخر لم يكونا قطعيين، والمهم أنه يجب علينا في هذه المسألة أن نؤمن بأن الشمس تدور على الأرض، وأن اختلاف الليل والنهار ليس بسبب دوران الأرض، ولكنه بسبب دوران الشمس حول الأرض.

obeikandl.com

❁ سورة القصص ❁

(٩٧٨) يقول السائل ع. ع: يقول الله -تبارك وتعالى- في الآية العشرين من سورة يس: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠]، **وفي الآية العشرين أيضًا من سورة القصص:** ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] **السؤال: من هما الرجلان؟ وما تفسير هذه الآية بارك الله فيكم؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على السؤال ينبغي أن نعلم أنه إذا جاء المسمى مبهمًا في القرآن أو في السُّنَّة فإن الواجب إبقاؤه على إبهامه، وأن لا نتكلف في البحث عن تعيينه، لأن المهم هو القصة والأمر الذي سيق من أجله الكلام للاعتبار والاتعاظ، وكونه فلانًا أو فلانًا لا يهم، فالمهم الأمر الواقع، فالقرآن الكريم لم يُبَيِّنِ الله تعالى فيه هذا الرجل في الآيتين الكريمتين، بل قال في سورة القصص: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠]، وفي سورة يس قال: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس: ٢٠]، فَقَدَّمَ الرجل في سورة القصص وأَخَّرَهُ في سورة يس ولم يبين ذلك، ومحاولة الوصول إلى تعيينه ليس وراءها فائدةٌ تذكر، وعلى هذا فلا ينبغي أن يشغل الإنسان نفسه بتعيين مثل هذه المسميات، بل تبقى الآيات والأحاديث على إبهامها، ويوجه المخاطب إلى أن المقصود الاعتبار لما في القصة من أحكام ومواعظ.

أما تفسير الآيتين: ففي سورة القصص غيّب الله -سبحانه وتعالى- لموسى رجلًا ناصحًا جاء من أقصى المدينة يخبر موسى -عليه الصلاة والسلام- بأن الملأ -وهم الأشراف والأكابر في المدينة- يتشاورون ماذا يصنعون بموسى -عليه الصلاة والسلام- الذي قتل أحدهم -أي: أحد الأقباط-؟ وكان هذا من تيسير الله -عز وجل- لموسى ﷺ، ولهذا أرشده

الرجل بأن يخرج، قال: ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فخرج منها خائفًا يترقب، وذكر الله تمام القصة.

أما في سورة يس فإن الله -سبحانه وتعالى- أرسل إلى أهل القرية رسولين، فكذبوهما وأنكروا رسالتهما، فأرسل الله تعالى رسولًا ثالثًا يعززهما به، أي: يقويهما به، ولكن مع ذلك أصروا على الإنكار، وجرى بينهم وبين أهل هذه القرية ما جرى، فجاء من أقصى المدينة، وهنا قدم الأقصى للاهتمام بهذا الأمر، وقال: من أقصى المدينة، يعني: مع بعده جاء إلى قومه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢٢] إلى تمام القصة، كان هذا ناصحًا لقومه مرشدًا لهم، وكان عاقبته أن قيل له: ادخل الجنة ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

***

(٩٧٩) يقول السائل س. ع: ذُكِرَ في القرآن الكريم في سورة القصص مدين التي ذهب إليها رسول الله موسى -عليه أفضل الصلاة و السلام-، فأين تقع مَدْيَن مأجورين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه يظهر -والله أعلم- أنها تقع في صحراء مصر، لأنه قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، وأرجو من الأخ السائل أن يرجع إلى كلام أهل العلم في هذا.

✿✿✿

❁ سورة العنكبوت ❁

(٩٨٠) يقول السائل س. أ. ب: ما معنى كلمة الحيوان في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؟ وما معنى الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية تدل على أن الدنيا ليست إلا لهوًا في القلوب وغفلة، ولعبًا في الجوارح من المرح والبطر وما أشبه ذلك، إلا ما كان طاعة لله -عز وجل-، فإن ما كان طاعة لله -عز وجل- فإنه حق وليس لهوًا ولا لعبًا، بل هو حق ثابت يكون الإنسان فيه مثابًا عند الله -عز وجل- ومأجورًا عليه، لكن الدنيا التي هي الدنيا ليست إلا لعبًا ولهوًا، ولهذا تجد الإنسان فيها لاهيًا لاعبًا حتى يأتيه اليقين، وكأنها أضغاث أحلام.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فالمعنى: أن الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة الثابتة التي ليس فيها لمن دخل الجنة تنغيص، ولا تنكيد، ولا خوف، ولا حزن.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: لو كانوا يعلمون الحقيقة ما اشتغلوا بالدنيا التي هي لهو ولعب عن الآخرة التي هي الحيوان، فإن الإنسان لو كان عنده علم نافع في هذا الأمر لكان يؤثر الآخرة على الدنيا ولا يؤثر الدنيا على الآخرة، ومع هذا فإن نصيب الإنسان من الدنيا لا يمنع منه إذا لم يشغله عن نصيبه في الآخرة، فلا حرج على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما أحل الله له، بل إن الامتناع من الطيبات بغير سبب شرعي مذموم، وليس من طريقة أهل الإسلام، إنما ما ألهى عن طاعة الله من هذه الدنيا فإنه لا خير فيه.

***

(٩٨١) يقول السائل أ. س: ما معنى الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ذكر الله -سبحانه وتعالى- قبل هذا: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤] لعب بالأبدان ولهو بالقلوب، وبَيَّنَ أن الدار الآخرة هي الحيوان، يعني: الحياة الكاملة التي ليس فيها نقص، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، فالحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، لأنها حياة ليس بعدها موت، فصارت هي الحياة الحقيقية، وهذا هو معنى قوله: ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: لهي الحياة الكاملة من كل وجه.

obeikandl.com

❁ سورة الروم ❁

(٩٨٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١-٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: في هذه الآية بَيَّنَ الله -عز وجل- أن الروم -وكانوا يدينون بدين النصرانية قبل بعثة النبي ﷺ، وهم أقرب إلى الحق من خصومهم الفرس- فيقول الله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: المراد به أقربها، لأنهم كانوا في الشام ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ ستكون الدائرة لهم بعد أن كانت عليهم، لكن ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى التسع، وإذا أخبر الله -عز وجل- خبرًا وقع الأمر كما أخبر، لأن هؤلاء الروم الذين غُلِبُوا سوف تكون الغلبة لهم في هذه الْمُدَّةُ، وقد كان الأمر كما أخبر الله -سبحانه وتعالى-، فَغَلَبَتِ الروم بعد ذلك الفرس، وفرح المؤمنون بنصر الله -تبارك وتعالى- لهؤلاء الروم على الفرس.

***

(٩٨٣) يقول السائل: المطر الذي ينزل من السماء من أين مصدره؟ أهو كما يقال من بخار البحر أم هو من السماء؟ وكيف ينشأ البرق والرعد إن كان في القرآن ما يشير إلى ذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ [الروم: ٤٨] فهذا المطر ينزل من السحاب، والسحاب قد أثارته الرياح بأمر الله -عز وجل-، وليس لديَّ عِلْمٌ بأكثر من ذلك، لكن إذا عُلِمَ أن هنالك أسبابًا طبيعية فإنه لا حرج في قبولها إذا صحت، فإن الله تعالى قد يجعل الشيء له سببان: سبب شرعي، وسبب كوني قدري، مثل الكسوف كسوف الشمس أو القمر له سبب شرعي، وهو ما ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام- في قوله:

«**يُخَوِّفُ الله بهما من شاء من عباده**»[١]، وهذا هو الذي ينبغي للمرء أن يعلمه وجهله نقص، وأما السبب الكوني للكسوف فهو حيلولة القمر بين الشمس والأرض في كسوف الشمس، ولهذا لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر لإمكان ذلك، وسبب خسوف القمر هو حيلولة الأرض بين الشمس والقمر، وهذا لا يكون إلا في ليالي الإبدار لإمكان ذلك.

والمهم أن السبب الشرعي هو النافع الذي يكون سببًا لصلاح القلوب، وعلى هذا فنقول: إن سبب نزول المطر هو ما ذكره الله تعالى في القرآن، وأما الرعد والبرق فإنه ورد في الحديث أن الرعد «**صوت ملك موكل بالسحاب**» وأن البرق «**صوته**»[٢]، ولكن لا يحضرني الآن صحة هذا الحديث، فإن صح وجب القول بموجبه، وإن لم يصح فالله أعلم.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم (٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٤)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد، رقم (٣١١٧).

obeikandl.com

❁ سورة (لقمان) ❁

(٩٨٤) يقول السائل: يوجد في القرآن الكريم سورة سميت بسورة لقمان، فمن هو هذا الشخص الذي يدعى لقمان؟ وهل أوتي النبوة؟ وما معنى كلمة سورة باللغة العربية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سميت سورة لقمان لأنه ذكر فيها قصة لقمان وعظته لابنه، وتلك الوصايا التي ذكرها له، والسورة تسمى باسم ما ذُكِرَ فيها أحيانًا، كما يقال: سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة الإسراء وما أشبه ذلك.

والصحيح أن لقمان ليس بنبي، وأن الله تعالى آتاه الحكمة وهي موافقة الصواب مع العلم.

وقولنا: مع العلم للتبيان، وإلا فلا صواب إلا بعلم، والصواب أنه ليس من الأنبياء، وإنما هو رجل آتاه الله الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (السجدة) ❁

(٩٨٥) يقول السائل أ. م. س: أرجو إيضاح معنى هاتين الآيتين، وهل بينهما تعارض؟ الآية الأولى من سورة السجدة يقول الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]. والآية الثانية من سورة المعارج إذ يقول الله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أُبيِّنَ أنه ليس في كتاب الله ولا في ما صح عن رسول ﷺ تعارض أبدًا، وإنما يكون التعارض فيما يبدو للإنسان ويظهر له، إما لقصور في فهمه، أو لنقص في علمه، وإلا فكتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ ليس فيهما تعارض إطلاقًا، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فإذا بدا لك أيها السائل شيء من التعارض بين آيتين من كتاب الله أو حديثين عن رسول الله ﷺ، أو بين آية وحديث فأعد النظر مرة بعد أخرى، فسيتبين لك الحق ووجه الجمع، فإن عجزت عن ذلك فاعلم أنه إما لقصور فهمك، أو لنَقْصِ علمك، ولا تتهم كتاب الله -عز وجل- و ما صح عن رسوله ﷺ بتعارض وتناقض أبدًا.

وبعد هذه المقدمة أقول: إن الآيتين اللتين أوردهما السائل في سؤاله، وهما قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله في سورة المعارج: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] الجمع بينهما أن آية السجدة في الدنيا، فإنه -سبحانه وتعالى- يُدَبِّرُ الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار هذا اليوم الذي يعرج إليه الأمر، مقداره ألف سنة مما نَعُدُّ، لكنه يكون في يوم واحد، ولو كان بحسب ما نعد من السنين لكان عن ألف سنة، وقد قال بعض أهل العلم: إن

هذا يشير إلى ما جاء به الحديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- «**أن بين السماء الدنيا والأرض خمسمائة سنة**»[١]، فإذا نزل من السماء ثم عرج من الأرض فهذا ألف سنة.

وأما الآية التي في سورة المعارج فإن ذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [المعارج: ١-٤] فقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ هذه لقوله: ﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ وقوله: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ ليس متعلقًا بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ لكنه متعلق بما قبل ذلك وهو قوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فيكون هذا العذاب الذي يقع للكافرين في هذا اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة، وهو قوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ هي جملة معترضة، وبهذا تكون آية المعارج في يوم القيامة، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة في قصة مانع الزكاة «**أنه يُحْمى عليها في نار جهنم، فيُكْوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**»[٢]، فتبين بهذا أنه ليس بين الآيتين شيء من التعارض، لاختلاف محلهما، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ ثِيَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، رقم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، بَابُ إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

❁ سورة (الأحزاب) ❁

(٩٨٦) يقول السائل ع. ح: ما تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم في هذه الآية الكريمة يخبر الله -عز وجل- أنه عالم بالْمُعَوِّقِينَ من هؤلاء - يعني: عن الجهاد- الذين يخذلون الناس ويرجفون بالأعداء، ويقولون للناس مثلًا: لا حاجة للجهاد، أو يقولون: العدو كبير، أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي تُثَبِّطُ الناس عن الجهاد، وهؤلاء مع تثبيطهم عن الجهاد يدعون الناس إلى أن يكونوا مثلهم في الكسل والتهاون، يقولون: هلم إلينا، وهم بأنفسهم أيضًا لا يأتون الحرب ويقابلون العدو إلا قليلًا.

والقليل هنا إما يكون بمعنى المعدوم أو بمعنى القليل جدًا، على كل حال في هذه الآية وعيد لمن كان يثبط الناس عن الجهاد في سبيل الله ويعوقهم عنه، وهذا الوعيد مأخوذٌ من قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨].

***

(٩٨٧) يقول السائل: يقول تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] إلى آخر الآية، من هي هذه المرأة؟ وما هي قصتها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ هذه نكرة لا تخص امرأة بعينها، ولكن مع ذلك قد حصل أنَّ امرأة جاءت إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فقالت: يا رسول الله إني وهبت نفسي لك. فردد فيها النظر -عليه الصلاة والسلام- ولكنها لم تعجبه، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فَزَوِّجْنِيهَا، إلى آخر الحديث، وهو ثابت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه[1]، وأما الآية فلا تدل على امرأة معينة.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب وكالة المرأة الإمام في النكاح، رقم (٢٣١٠)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، رقم (١٤٢٥).

obeikandl.com

(٩٨٨) يقول السائل م. ا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، **وقال ﷺ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا»**(١) **السؤال: كيف تكون صلاة الله والملائكة على النبي ﷺ؟ وكيف تكون صلاة الله على العبد؟ وإذا تُلِيَت هذه الآية في الصلاة فهل يجب علي أن أصلي على النبي ﷺ أم أُنْصِتُ؟**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: صلاة الله تعالى على رسوله وصلاة الملائكة على رسوله تعني الثناء عليه، قال أبو العالية رحمه الله في تفسير هذه الآية: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»(٢) فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ أي: يُثْنُون عليه في الملأ الأعلى.

وأما صلاتنا نحن عليه، إذا قلنا: اللهم صل على محمد، فهو سؤالنا الله -عز وجل- أن يُثْنِيَ عليه في الملأ الأعلى.

وإذا مرت هذه الآية في الصلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فلا حرج أن تصلي عليه، -عليه الصلاة والسلام-، وإذا لم تصل عليه فلا حرج أيضًا، أولًا: لأنك مأمور باستماع قراءة إمامك، وثانيًا: لأنه يمكنك أن تنوي بقلبك أنك ستصلي عليه ﷺ في مواطن الصلاة عليه، والحاصل أنه إذا مرت بك وأنت في الصلاة فإن شئت فصل عليه وإن شئت فلا تصل.

***

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]....

(٩٨٩) يقول السائل أ. أ: في الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ما كيفية الصلاة على النبي ﷺ؟ وما معنى الصلاة في الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كيفية الصلاة أن يقول: اللهم صلِّ على محمد، والكامل منها أن يقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، لاسيما إذا كان يصلي فهذه هي الكيفية المطلوبة.

والصلاة من الله -عز وجل- قيل: إنها الثناء على المصلى عليه في الملأ الأعلى، وقيل: إنها منزلة عالية فوق الرحمة ولكننا لا ندري ما هي، وقيل: إن الصلاة من الله هي الرحمة، لكن هذا القول ضعيف، لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] فعطف الرحمة على الصلوات، فدل هذا على أنها ليست هي الرحمة، أما الإنسان إذا دعا الله أن يصلي على نبيه فمعناه أن يجعل عليه صلاته.

***

(٩٩٠) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا تعليل لما سبق حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] يعني: أنهن إذا أدنين من جلابيبهن عرف أنهن حرائر، فلا يحصل من أحد أذية لهن، بخلاف الإماء، فإن الإماء ربما يتعرض أحد لأذيتهن.

***

(٩٩١) تقول السائلة ع. ع. ح: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا جواب لسؤال الناس الذين يسألون الرسول -عليه الصلاة والسلام- متى الساعة؟ فقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] يعني: ما يعلمك أيها الإنسان، أو: ما يعلمك أيها النبي أن الساعة تكون قريبًا؟ وصدق الله -عز وجل- فإن كل آت قريب، وانظر إلى نفسك تتطلع إلى الشيء البعيد فإذا به وقد حَلَّ، يفطر الناس من رمضان ويقولون: متى يأتي رمضان الثاني؟ وإذا بهم يحل بهم رمضان الثاني وكأن أيامه دقائق أو لحظات، فالساعة قريبة مهما طال الزمن.

وفي الآية دليل واضح على أنه لا أحد يعلم متى تكون الساعة، فمن ادعى أنه يعلم الساعة متى تكون فقد كَذَّبَ القرآن وهو كافر مرتد عن دين الإسلام، وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ حين جاء جبريل إلى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال له: متى الساعة؟ قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1]، يعني: إذا كنت لا تعلم فأنا لا أعلم، وإذا كان هذان الرسولان الكريمان أفضل الرسل -فإن جبريل أفضل الملائكة، ومحمد أفضل البشر- لا يعلمان متى الساعة، فمن دونهما من باب أولى، فمن ادعى علم الساعة فهو كاذب مكذب لله -عز وجل- ولرسوله، فإن عِلْمَ الساعة عند الله تعالى، لكنه ليس ببعيد بل هو قريب، لأن كل آت قريب، والماضي هو البعيد، فيومك الأمس أبعد عليك من ألف يوم يأتي لك إن قدر الله لك البقاء.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

(٩٩٢) يقول السائل ب. م. ح. خ: يقول الله -سبحانه وتعالى- في آخر سورة الأحزاب بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ما المقصود بالأمانة هنا؟ هل هي أمانة العقل، أو ما اؤتمن عليه الإنسان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المراد بالأمانة هنا كل ما كُلِّفَ به الإنسان من العبادات والمعاملات فإنها أمانة، لأنه مؤتمن عليها وواجب عليه أداؤها، فالصلاة من الأمانة، والزكاة من الأمانة، والصيام من الأمانة، والحج من الأمانة، والجهاد من الأمانة، وبِرُّ الوالدين من الأمانة، والوفاء بالعقود من الأمانة، وهكذا جميع ما كلف به الإنسان فهو داخل في الأمانة.

هذه الأمانة أو هذا الالتزام لا يكون إلا بالعقل، ولهذا كان الإنسان حاملًا لهذه الأمانة بما عنده من العقل، وليست البهائم ونحوها حاملة للأمانة لأنه ليس لها عقل، فهي غير مكلفة، فالله -عز وجل- عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، وهذه المخلوقات العظيمة إذا أبت أن تحمل الأمانة وأشفقت منها وخافت، فإن حمل الإنسان لها دليل على ظلمه وجهله، ولكن الموفق الذي يقوم بهذه الأمانة فيمتثل ما أمر الله به، ويجتنب ما نهى عنه يكون أفضل من السموات والأرض، لأنه قبل تحمل هذه الأمانة وقام بها على الوجه الذي طلب منه، فكان له فضل الحمل أولًا ثم فضل الأداء ثانيًا، أما إذا لم يتحمل هذه الأمانة ولم يقم بواجبها فإن الله يقول: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥]، ويقول -عز وجل-: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥]، فالإنسان الذي لم يقم بواجب هذه الأمانة هو شر الدواب عند الله، وهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وإنما شبهه بالحمار لِبَلَادَتِه وعدم تقديره للأمور حتى يقوم بما يجب عليه.

***

(٩٩٣) يقول السائل آ. ع. إ: ما المقصود بالأمانة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؟ ولماذا كان الإنسان ظلومًا جهولًا بحمله الأمانة؟ وما معنى الآية إجمالًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الأمانة هي تحمل المسؤولية في العبادات التي أمر الله بها ورسوله، وفي اجتناب المحرمات التي نهى الله عنها ورسوله، هذه هي الأمانة، وأداؤها أن نقوم بذلك على الوجه الأكمل.

ولما كانت السموات والأرض والجبال لم يكن لها من العقل والإدراك مثل ما للإنسان، صار المتحمل لها الإنسان بما أعطاه الله تعالى من العقل والتفكير والتمييز، وبما أنزل الله عليه من الكتب وأرسل إليه من الرسل، فإن الإنسان قد قامت عليه الحجة بعقله وبالوحي الذي أنزله الله إليه.

وعلى هذا فإن الإنسان بتحمله هذه الأمانة كان ظلومًا جهولًا، لجهله بما يترتب على هذا التحمل، ولظلمه نفسه بتحملها.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: الإنسان، وهذا باعتبار الإنسان من حيث هو الإنسان، أما إذا كان مؤمنًا فإنه يزيل عن نفسه هذا الوصف، لأنه سوف يهتدي بالوحي فيكون عالمًا، وسوف يتقي الله -عز وجل- فيكون غير ظالم لنفسه، فالإنسان في الآية الكريمة من حيث هو إنسان، وقد قال بعض المفسرين: إن المراد بالإنسان هو الكافر، ولكن ظاهر الآية العموم، وأن الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول، ولو وُكِلَ إلى نفسه لكان ظالمًا جاهلًا، ولكن الله تعالى منّ عليه بالهدى والتُّقى، فانتشل نفسه من هذين الوصفين الذميمين: الظلم والجهل إذا كان مؤمنًا.

***

(٩٩٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؟ ما المقصود بهذه الأمانة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المقصود بالأمانة ما ائتمن الله عباده عليه من طاعته، فإن الله -سبحانه وتعالى- ألزمهم بالطاعة بامتثال أمره واجتناب نهيه، فالتزموا بالعهد الذي بينهم وبينه، بما فَطَرَهُمْ عليه من الإيمان به والإقرار به، وبما أعطاهم من العقل، وبما أرسل إليهم من الرسل، فهنا فطرة وعقل ورسالة، وبهذه الأمور الثلاثة كان تحمل الأمانة من الإنسان وكُلِّفَ بها، وعليه أن يقوم بهذه الأمانة ويعرف قدرها، حيث عرضت على السموات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، ولكن الإنسان تحملها وحملها، فعليه أن يقوم بها، وهي طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، فيما يتعلق بعبادته وفيما يتعلق بحقوق عباده.

obeikandl.com

❁ سورة (فاطر) ❁

(٩٩٥) تقول السائلة ع. م: أرجو أن تشرحوا لي الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: خشية الله -عز وجل- هي الخوف منه مع إجلاله وتعظيمه، وهذه الخشية لا تكون إلا من عالم بالله فمن كان بالله أعلم، وكان لله أخشى، وكلما قَوِيَ العلم بالله وبأسمائه وصفاته قَوِيَتْ خشية الله -عز وجل- في قلب العبد، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يعني: ما يخشى الله حق خشيته إلا العلماء بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وشرعه، هؤلاء هم أشد الناس خشية لله -عز وجل-، وكلما ضعف علم الإنسان بربه ضعفت خشيته له.

***

(٩٩٦) يقول السائل ك. أ: يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فكيف يُعْرَفُ العالم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يُعْرَفُ العالم بكونه يقول في الأشياء بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وشهادة الناس له بأنه عالم، أما الخشية فمحلها القلب، وكم من عالم قد سُلِبَ من قلبه الْهُدَى فلم يخشع لله، واستكبر عن عبادة الله والعياذ بالله، لأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «**القرآن حجةٌ لك أو عليك**»[1]، لكن العالم حقًّا لا بد أن يخشى الله -عز وجل-، إذا عَرَف قُوَّتَهُ وسلطانه وشدة عقابه للمخالف خشي الله وخاف منه، ولهذا تجد أكثر الناس ورعًا من كان أعلم، ومن المقولة المشهورة: من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

***

(١) تقدم تخريجه.

(٩٩٧) يقول السائل أ. ر. ج: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الآية الكريمة أنه لا يخشى الله -عز وجل-، -والخشية هي الخوف المقْرُون بالعلم والتعظيم-، من عباده إلا العلماء، والمراد بالعلماء العلماء بالله تعالى وما له من الأسماء والصفات والأفعال الحميدة والأحكام المتضمنة للحكمة، وهي شريعة الله -عز وجل-، هؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله -سبحانه وتعالى-، لأنهم علموا ما له من الكمال.

وأما العلماء بأحوال الدنيا فإنهم قد يخشون الله وقد لا يخشونه، وما أكثر الذين عندهم علم كثير من علم الدنيا ومع ذلك فهم من أبعد الناس عن خشية الله وأشدهم استكبارًا عن الحق، ولقد ظن بعض الجهلة أن المراد بالعلماء في هذه الآية العلماء بأحوال الكون مما أوتوه من علمه، كالذين يعرفون الفلك ويعرفون الأرض وما أشبه ذلك، وهذا خطأ، فهؤلاء إن أَدَّتْ معرفتهم إلى خشية الله -سبحانه وتعالى- والإنابة إليه والقيام بطاعته فهم على خير، وإن لم تؤدِ إلى ذلك فليس فيهم خير.

***

(٩٩٨) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]؟ يقول: أرجو إيضاح هذه الأقسام الثلاثة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله -عز وجل-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني بهم: هذه الأمة، أورثهم الله الكتاب فكان كتابهم وهو القرآن الكريم آخر كتاب أنزله الله تعالى على أهل الأرض، لأنه نزل على محمد ﷺ خاتم النبيين، أورثهم الله الكتاب، وبيَّن الله في هذه الآية أنه

اصطفى هذه الأمة على غيرها من الأمم، وقَسَّمَ هذه الأمة ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

فالظالم لنفسه هو الذي ظلم نفسه بفعل ما لا يجوز، أو بترك ما يجب.

والمقتصد هو الذي اقتصر على فعل الواجب وترك المحرم.

والسابق بالخيرات هو الذي قام بالواجب وبما زاد عليه من التطوع، وتجنب الحرام والمكروه، والمباح الذي لا يستفيد منه شيئًا.

مثال الأول الظالم لنفسه: رجل كان يصلي، لكنه لا يأتي بما يجب في الصلاة من شروط وأركان أو واجبات فهذا ظالم لنفسه، رجل يزكي، لكنه لا يحتاط ولا يزكي جميع ما تجب فيه الزكاة من ماله، فهذا ظالم لنفسه.

ومثال الثاني: رجل يصلي، لكنه يؤخر الصلاة إلى آخر الوقت، ولا يأتي بمكملاتها، يقتصر في التسبيح على واحدة، يقتصر على قراءة الفاتحة، يقتصر في الركوع والسجود على أدنى ما يجب وهكذا، وفي الصدقة يأتي بالواجب من الزكاة ولا يزيد عليه.

وأما الثالث السابق بالخيرات: فهو الذي يأتي بالواجبات، ويفعل ما يكملها من المستحبات، فيصلي الصلاة على أكمل وجه وأتمه، ويأتي بالرواتب التابعة لها ويصلي التطوع، وكذلك يؤدي الزكاة ويتصدق بما زاد على ذلك، هذا هو السابق بالخيرات.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] أي: ذلك السبق في الخيرات هو الفضل الكبير، فإنه لا فضل أكبر من أن يَمُنَّ الله تعالى على الإنسان بالمسابقة إلى الخير، وفعل ما يستطيع من الطاعات الواجبة والمستحبة.

❁ سورة (يس) ❁

(٩٩٩) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معناه أن الله تعالى يُبَيِّنُ كمال قدرته وعزته وحكمته ورحمته بعباده، حيث قدر هذا القمر منازل كل يوم له منزلة غير المنزلة الأخرى، فيعود في آخر الشهر كما هو في أوله كالعرجون القديم.

والعرجون هو غصن ثمر النخل، لأنه إذا قدم يلتوي ويضعف، وهكذا القمر فإنه يبدو في أول الشهر هلالًا ضعيفًا، ثم ينمو شيئًا فشيئًا حتى يمتلئ نورًا في منتصف الشهر، ثم يعود في النقص شيئًا فشيئًا حتى يعود كعرجون النخل القديم ملتويًا ضعيفًا.

والله -سبحانه وتعالى- قدره هذه المنازل لنعلم بذلك عدد السنين والحساب، ويتضح لنا الأمر كما قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ولهذا لا شك ولا ريب أن التوقيت العالمي في العالم هو بهذه الأهلة، لأن الله يقول: ﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ عمومًا.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (فصلت) ❁

(١٠٠٠) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية نزلت في الكافرين أعداء الله -عز وجل- الذين قال الله عنهم: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٠]، فأعداء الله وهم الكفار هم أعداء للمسلمين أيضًا، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقال -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فأعداء الله تعالى أعداء لكل عباده المؤمنين في كل زمان ومكان، فالله تعالى يذكر عباده بهذه الحال العظيمة حتى يكونوا من أولياء الله، ويبتعدوا عن أعداء الله -عز وجل-، يقول الله -عز وجل-: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩] أي: يساقون إليها ويحبس أولهم على آخرهم، يساقون إلى جهنم وِرْدًا والعياذ بالله، فإذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم يقول: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما هذه زائدة للتوكيد، وكلما جاءت ﴿مَا﴾ بعد ﴿إِذَا﴾ فهي زائدة، كما قيل:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهْ (مَا) بَعْدَ (إِذَا) زَائِدَهْ

حتى إذا ما جاءوها أي: إذا جاءوها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فيشهد السمع على صاحبه بما سمع من الأقوال المحرمة المنكرة، التي استمع إليها صاحب هذا السمع، وركن إليها، وقام بموجبها.

﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾ بما شاهدوا من الأمور المنكرة التي أقروها ورضوا بها،

﴿ وَجُلُودُهُم ﴾ بما مَسُّوا، فيشمل كل ما مَسَّتْ أيديهم وأرجلهم وفروجهم من الأمور المنكرة المحرمة، تشهد عليهم بكل ما مَسَّتْ، وهذا أعم من السمع والبصر، ولهذا أنكروا على الجلود دون السمع والبصر، فقالوا لجلودهم: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: ٢١-٢٤]، فيوم القيامة يختم على الألسنة وتتكلم الجوارح، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥]، فتشهد الجلود وعلى كل ما مَسَّتْ من أمر محرم، وكذلك السمع والبصر، وحينئذ لا يبقى للإنسان عذر، بل يكون مُقِرًّا رغم أنفه بما جرى منه من الكفر والمعاصي. نسأل الله العافية.

obeikandl.com

❁ سورة (الزخرف) ❁

(١٠٠١) يقول السائل ن. ع. ف: أرجو شاكرًا ومُقَدِّرًا تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٣] في سورة الزخرف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ أي: ما كنا له مطيقين لولا أن الله سخره لنا، فهذه الإبل لولا أن الله سخرها لك ما استطعت أن تركب عليها ولا أن تقودها حيث شئت، ولهذا أشار الله إلى هذه النعمة في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣] وكلمة مقرنين مأخوذة من قِرْن، ومنه الأقران الذين يتساوون في أمر من الأمور، والقِرْن مساوٍ لك في القوة وأنت معه على حد سواء، لكن الأنعام لست مساويًا لها في قوتها فما أنت لها بمقرن.

***

(١٠٠٢) يقول السائل س. م: قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الزخرف: ٣٢] ما معنى هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المعنى أن الله -سبحانه وتعالى- فَضَّلَ الناس بعضهم على بعض في العقل، والذكاء، والعلم، والعمل، والجسم طولًا، وقصرًا، وجمالًا، وقبحًا وغير ذلك، وهذه ذكرت في القرآن في آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، القريتان هما الطائف ومكة، يعني: أن المشركين قالوا: محمد -عليه الصلاة والسلام- ليس أهلًا للرسالة وإنزال القرآن عليه، فلولا نزل على رجل عظيم؟ قال الله -عز وجل-: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]؟ والجواب:

لا، ثم قال: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فهذا غني، وهذا فقير، وهذا متوسط ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، قريش تقول هذا وهي تعلم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- من خير العرب، يعني: من قبيلةٍ هي خير العرب، فبنو هاشم لهم مركزٌ عظيم في قريش، وهم كانوا يسمونه الأمين قبل أن يوحى إليه، لكن هكذا دعوى المبطل يَدَّعِي ما يعلم هو بنفسه أنها دعوى باطلة.

***

(١٠٠٣) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ﴾، هذا تحدٍ للذين قالوا: إن الله له ولد، فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، فيقول -عز وجل- لنبيه: ﴿ قُلْ ﴾ يعني: لهؤلاء المدعين أن لله ولدًا ﴿ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ﴾ يعني: فأنا أول من يعبد هذا الولد ولن أستنكف عن عبادته، ولكن لا يمكن أن يكون له ولد، لأن الله تعالى قال: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وإذا كان كذلك فإنه يمتنع أن يكون لله ولد، فهو يقول: لو كان للرحمن ولد فلن أترككم تسبقونني إليه، فكنت أنا أول من يعبده، ولكنه ليس له ولد، لذلك أنا أنكر عليكم أن تتخذوا لله ولدًا.

obeikandl.com

❁ سورة (الدخان) ❁

(١٠٠٤) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يعني: انتظر يوم تأتي السماء بدخان مبين، وهذا الدخان قيل إنه ما أصاب قريشًا من القحط حين دعا عليهم النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يجعل الله عليهم السنوات سبعًا كَسِنِي يوسف، فأصابهم جدب عظيم، فكان الواحد ينظر إلى السماء وكأن بها دخانًا من الغبرة وعدم السحب وقيل: إن المراد بالدخان الدخان الذي يكون من علامات الساعة ولم يأت بعد.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (الحجرات) ❁

(١٠٠٥) يقول السائل: في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أيهما أكمل: الإسلام أم الإيمان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الإيمان أكمل، ولهذا قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] يعني: لم يدخل بعد الإيمان في قلوبكم، ولكنه قريب من الدخول، ولكن إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وإذا ذكر الإيمان وحده فقيل: مؤمن وكافر، فإن الإيمان يشمل الإسلام، أما إذا ذُكِرَا جميعًا -كما في آية الحجرات- فإن الإيمان في القلب والإسلام في الجوارح، والإيمان أكمل.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (الطور) ❁

(١٠٠٦) يقول السائل: ما هو تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور: ٢١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لما ذكر الله -سبحانه وتعالى- مِنَّته على أهل الجنة، وأنهم متَّكِئون على سرر مصفوفة، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ فكان ذكر الذُّرِّيةِ بعد ذكر الزوجات من أنسب ما يكون: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ يعني بذلك: أن الذرية الذين اتبعوا آباءهم بالإيمان يلحقهم الله بآبائهم في درجات الجنة وإن كانت الذرية أدنى مرتبة من الآباء، وإذا ألحق الله الذرية بالآباء في الجنة فإن ذلك لا يُنْقِصُ من درجات الآباء شيئًا: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: ما نقصنا الآباء من عملهم من شيء حين ألحقنا بهم الذرية.

والمراد بالذرية هنا - والله أعلم - من لم يتزوج فلم يكن له ذرية، فأما من تزوج وكان له ذرية فهو مستقل بنفسه مع ذريته في درجته التي كتبها الله له، لأننا لو لم نقل بذلك لزم أن يكون أهل الجنة كلهم في درجة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] فيه دليل على أن الإنسان لا يُظْلَمُ من عمله شيئًا، لكن قد يزاد في أجره تَفَضُّلًا من الله، مثل زيادة أجر الذرية حتى يلحقوا بآبائهم، فإن هذا فضل، لكن الآباء لا يُنْقَصُون في مقابل هذه الزيادة، لأن كل امرئ بما كسب رهين.

❁❁❁

❁ سورة (النجم) ❁

(١٠٠٧) يقول السائل: ما هي قصة الغرانيق الواردة في بعض كتب السيرة؟ مع شرح قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤]، وما هو الموقف الذي يجب أن يقفه المسلم من هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قصة الغرانيق هي أنه ذكر بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٢-٥٥] ذكر بعض المفسرين أن هذه القصة كانت حين قرأ الرسول -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] أن الشيطان ألقى في قراءته: تلك الغرانيق العُلَا، وإن شفاعتهن لتُرْتَجى. وهذه القصة أنكرها كثير من أهل العلم وقالوا: إنه لا يمكن أن يقع ذلك من النبي ﷺ، وطعنوا في إسنادها. ومن العلماء من لم ينكرها وقال: إن هذا ليس من كلام الرسول ﷺ، فإن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ يعني: قرأ ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ فالذي ألقى هذا الكلام هو الشيطان، وليس النبي ﷺ، وإذا كان هو الشيطان فإن ذلك لا يقدح في مقام رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ إلى آخر الآيات، وهذا لا يقدح في مقام النبوة وفي مقام رسول الله ﷺ.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] فإن الضمير في قوله: وما ينطق يرجع إلى رسول الله ﷺ، أي: إنه ﷺ ما يقوله عن ربه وما يبلغه من الوحي فإنه لا ينطقه عن هَوًى منه أو تَقَوُّلٍ على الله -عز وجل- بلا علم، وإنما هو وحي يوحيه الله إليه، ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ فأتى بعن الدالة على أن المعنى ما ينطق نطقًا صادرًا عن هوى، وإنما هو -عليه الصلاة والسلام- ينطق عن الوحي الذي أوحاه الله إليه.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: ما هو الموقف الذي يجب أن يقفه المسلم من هذا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الموقف الذي يجب أن يقفه المسلم من هذا ومن غيره من الإسرائيليات أن يعرض هذه الإسرائيليات على ما في الكتاب والسُّنَّة، فما وافق الكتاب والسُّنَّة فهو حق، لا لأنه من خبر بني إسرائيل بل لأنه موافق للكتاب والسُّنَّة، وما خالفه فهو باطل، وما لم يخالفه ولم يوافقه -يعني: ما لم تعلم مخالفته ولا موافقته- فإنه يتوقف فيه، ولا يحكم بصدقه ولا بكذبه.

***

(١٠٠٨) يقول السائل: ما معنى الآية: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٨-١٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ يعني: جبريل عليه السلام دنا من الرسول ﷺ فتدلى من فوق: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ أي: كان قريبًا، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ أي: جبريل ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ أي: إلى عبد الله، وهو محمد ﷺ، ﴿ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ وأبهم الْمُوحَى تعظيمًا له وتفخيمًا، لأن الإبهام يأتي في موضع التفخيم، كما قال الله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨] أي: أوحى إلى رسول الله ﷺ عبد الله ما أوحى من الوحي العظيم.

❁ سورة (القمر) ❁

(١٠٠٩) يقول السائل: ما تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تفسيرها أن الله -سبحانه وتعالى- يخبر أن الساعة قد اقتربت، لأن محمدًا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هو آخر الأنبياء لا نبي بعده، ويخبر -جل وعلا- أن القمر انشق، أي: انفلق فِلْقَتَيْنِ، وقد شاهده الناس ورأوه تفرق حتى رأوا ذلك بأعينهم وأبصارهم، وقد ثبتت الأحاديث في ذلك.

وقد أنكر بعض الناس أن يكون القمر قد انشق، وقالوا: إن الأفلاك السماوية لا تتغير، ولكن إنكاره هو المنكر، لأنه إذا ثبت ذلك فالله على كل شيء قدير، والله تعالى هو خالق السموات والأرض، وإذا كان خالق السموات والأرض فهو قادر على أن يفرق ما اجتمع، وأن يجمع ما تفرق.

❁❁❁

Obeikandl.com

❁ سورة (الرحمن) ❁

(١٠١٠) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا يكون يوم القيامة، فإن هذه السموات العظيمة الواسعة الأرجاء الكبيرة إذا كان يوم القيامة فإن الله تعالى يطويها كطي السجل للكتب، كما قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وأما الآية التي سألت عنها: فإن الله تعالى أخبر بأن السماء تنشق، وذلك بنزول الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥]، فالظاهر -والله أعلم- أن قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ إشارة إلى هذا، وقوله: ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ أي: تكون كحمرة الورد، والدهان قيل: إنه الجلد الأحمر، وقيل: إن الدهان ما ينظر من الدهن، يكون متلونًا بألوانٍ متعددة.

وعلى كل حال فالآية تشير إلى أن هذه السماء سوف تكون بهذا اللون، وعلى هذه الصفة في ذلك اليوم العظيم، وجواب إذا في قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ محذوف، وإنما حُذِفَ لأجل التهويل والتفخيم، أي: كان من الهول ما يكون وما هو أمرٌ عظيم، ولهذا قال بعدها: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩].

❁❁❁

❁ سورة (الحديد) ❁

(١٠١١) يقول السائل ع. ب: قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الحديد: ٤] فهل هذه الأيام من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة؟ نرجو بذلك إفادة.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وأطلق الله تعالى هذه الأيام، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] أي: صَيَّرْنَاهُ بلغة العرب لتعقلوه وتفهموا معناه، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وقال -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فإذا أطلق الله تعالى شيئًا في كتابه ولم يكن له معنى شرعي يرجع إليه فإنه يجب أن يحمل على ما تقتضيه اللغة العربية، والأيام هنا مطلقة، قال: في ستة أيام، فتحمل هذه الأيام على الأيام المعهودة المعروفة لنا، وهي هذه الأيام التي نعدها، الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، فهذه ستة أيام خلق الله تعالى فيها السموات والأرض.

قال الله تعالى مفسرًا ذلك في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ٩-١٢]، فَفَصَّل الله تعالى هذه الأيام في هذه السورة تفصيلًا بينًا واضحًا، فتحمل هذه الأيام على الأيام المعهودة التي يعرفها الناس في هذه الدنيا، أما أيام الآخرة فإن الله تعالى قال عن يوم القيامة: إن مقداره خمسون ألف سنة.

***

(١٠١٢) يقول السائل: كيف تُفَسَّرُ الْمَعِيَّةُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معية الله -تبارك وتعالى- لخلقه حقيقية، أضافها الله إلى نفسه في عدة آيات، وهي أنواع:

١- معية تقتضي النصر والتأييد مع الإحاطة: مثال ذلك قول الله -تبارك وتعالى- لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقول الله -تبارك وتعالى- عن نبيه محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وصاحبه هنا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالإجماع.

٢- معيةٌ تقتضي التهديد والتحذير، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

٣- معيةٌ تقتضي العلم والإحاطة بالخلق، كما في قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] هذه المعية الحقيقية لا تعني أن الله تعالى مع الخلق في الأرض، كلا والله! فإن الله -سبحانه وتعالى- فوق كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقد دل الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة على علو الله -تبارك وتعالى- وأنه فوق كل شيء، وتنوعت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على علو الله -تبارك وتعالى-، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قالها في أعظم آيةٍ من كتاب الله وهي آية الكرسي، والعلي من العلو.

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] والأعلى وصف تفضيل لا يساميه شيء.

وقال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧] والآيات في هذا كثيرة.

ودلت السُّنَّة كذلك على علو الله تعالى قولًا من الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وفعلًا، وإقرارًا. فكان يقول ﷺ: **«ألا تَأْمَنُونِي وأنا أمين من في السماء»**؟[(١)] وكان يقول ﷺ: **«سبحان ربي الأعلى»**[(٢)]، ولما خطب الناس يوم عرفة -وهو أكبر اجتماعٍ للنبي ﷺ بأصحابه- قال: **«ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد»** يرفع أصبعه إلى السماء ويَنْكُتُهَا إلى الناس.[(٣)] فقوله: **«اللهم»** يشير إلى الله -عز وجل- في السماء، **«اشهد»** يعني: على الناس أنهم أقروا بالبلاغ، أي: بتبليغ النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إياهم.

وَأُتِي إليه بجارية مملوكة فقال لها: **«أين الله»**؟ قالت: في السماء. فقال لسيدها: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**[(٤)]. وأقَرَّها على قولها: إن الله في السماء.

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ وأئمة الهدى من بعدهم: فكلهم مُجْمِعُونَ على علو الله تعالى، وأنه فوق كل شيء، لم يرد عن واحدٍ منهم حرفٌ واحد أن الله ليس في السماء أو ليس فوق عباده.

لهذا يجب على المؤمن أن يعتقد بقلبه اعتقادًا لا شُبْهَةَ فيه بعلو الله تعالى فوق كل شيء، وأنه نفسه -جل وعلا- فوق كل شيء، وكيف يَعْقِلُ عاقل -فضلًا عن مؤمن- أن يكون الله تعالى مع الإنسان في كل مكان؟ أيمكن أن يتوهم عاقل بأن الإنسان إذا كان في الحمام يكون الله معه؟ إذا كان في المرحاض

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن، رقم (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٥)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

Obeikandl.com

يكون الله معه؟ إذا كان واحد من الناس في الحجرة في بيته وآخر من الناس في المسجد يكون الله هنا وهناك؟ الله واحدٌ أم متعدد؟.

إن الذي يقول: الله في كل مكان بذاته، يلزمه أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن يعتقد أن الله متعددٌ بحسب الأمكنة، وإما أن يعتقد أنه أجزاءٌ بحسب الأمكنة، وحاشاه من ذلك، لا هذا ولا هذا.

إنني أدعو كل مؤمنٍ بالله أن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله -تبارك وتعالى- في السماء لا يحصره مكان، وإني أخشى على من لم يعتقد ذلك أن يلقى الله تعالى وهو يعتقد أن الله في كل مكان، فيكون مجانبًا للصواب والصراط المستقيم.

عباد الله لا تلفظوا بأقوال من أخطأ من أهل العلم، اقرؤوا القرآن بأنفسكم واعتقدوا ما يدل عليه، هل يمكن أن يقرأ قارئ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ثم يعتقد أنه في المكان الذي هو فيه، يعني: الذي الإنسان فيه؟ لا يمكن أبدًا.

وأما قول هؤلاء الذين أخطؤوا وجانبوا الصواب وخالفوا الصراط: إن المراد بذلك علو المكانة، فكلا والله! إن هؤلاء أنفسهم إذا دعوا الله يرفعون أيديهم إلى السماء إلى من دعوا، وهل هذا إلا فطرة مفطورٌ عليها كل الخلق؟ العجوز في خِدْرِهَا تؤمن بأن الله تعالى فوق كل شيء، فالفطرة إذًا دالة على علو الله تعالى نفسه فوق كل شيء.

العقل كذلك يدل على هذا، فإنه من المعلوم أن العلو صفة كمال، وأن السفول صفة نقص، وأيهما أولى أن نصف رب العالمين بصفة الكمال أو بصفة النقص؟ كل مؤمن يقول: له صفة الكمال المطلق، ولا يمكن أن يوصف بالنقص بأي حالٍ من الأحوال.

إذا علمت ذلك فقد يتراءى لك أن هذا ينافي قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فأقول لك أيها المسلم: إنه لا ينافيه، لأن الله -سبحانه وتعالى- ليس كعباده، ليس كالمخلوق، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو أعلى وأجل مما يتصوره الإنسان، ولا يمكن أن يحيط الإنسان بالله علمًا، كما قال عن نفسه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فهو وإن كان في السماء فوق كل شيء فهو مع العباد، لكن ليس معناه أنه في أمكنتهم، بل هو محيطٌ بهم علمًا وقدرةً وسلطانًا وغير ذلك من معاني ربوبيته.

فإياك يا أخي المسلم أن تلقى الله على ضلال، اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ثم اقرأ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ثم آمِنْ بهذا وهذا، واعلم أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فيجب على الإنسان أن يؤمن بأن الله فوق كل شيء، بأن الله نفسه فوق كل شيء، بأنه ليس حالًّا في الأرض ولا ساكنًا فيها، ثم يؤمن مرةً أخرى بأنه تعالى له عرشٌ عظيم قد استوى عليه، أي: علا عليه علوًا خاصًا غير العلو المطلق، علوًا خاصًا يليق به -جل وعلا-.

وقد ذكر الله استواءه على العرش في سبعة مواضع من القرآن، كلها بلفظ: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى﴾ [الأعراف: ٥٤]، واللغة العربية التي نزل بها القرآن تدل على أن: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى﴾ أي: علا عليه، كما في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤]. وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن استواء الله على العرش استواءٌ حقيقي، وهو علوه -جل وعلا- على عرشه، لم يرد عن أحدٍ منهم تفسيرٌ ينافي هذا المعنى أبدًا.

وهنا أعطيك قاعدة، وهي: أنه إذا جاء في الكتاب والسُّنَّة لفظٌ يدل على معنى، ولم يرد عن الصحابة خلافه، فهذا إجماعٌ منهم على أن المراد به ظاهره،

وإلا لفسروه بخلاف ظاهره ونقل عنهم ذلك، وهذه قاعدةٌ مفيدة في تحقيق الإجماع في مثل هذه الأمور.

وأما من فسر: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بأنه استولى عليه، فتفسيره خطأٌ ظاهر وغلطٌ واضح، فإن الله استولى على العرش وغيره، فكيف نقول: إنه استوى على العرش خاصة، يعني: استولى عليه؟ ثم إن الآيات الكريمة تأبى ذلك أشد الإباء، اقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلو فسرت استوى بمعنى استولى لكان العرش قبل ذلك ليس ملكًا لله، بل هو ملكٌ لغيره، وهل هذا معقول؟ هل يمكن أن يتفوه بهذا عاقل فضلًا عن مؤمن أن العرش كان مملوكًا لغير الله أولًا ثم كان لله ثانيًا؟ ألا فليتقِ الله هؤلاء المحرفون للكلم عن مواضعه، وليقولوا عن ربهم كما قال ربهم عن نفسه -جل وعلا-، فهم والله ليسوا أعلم بالله من نفسه، وليسوا أعلم بالله من رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، ولم يرد عنه أنه فسر هذا اللفظ بما فسر به هؤلاء، وليسوا أعلم بالله وصفاته من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، ولم يرد عنهم أنهم فسروا الاستواء بالاستيلاء على العرش. ألا فليتقِ الله امرؤ، ولا يخرج عن سبيل المؤمنين بعد ما تَبَيَّنَ له الهدى، فإنه على خطرٍ عظيم.

إن العلماء الذين سبقوا وأتوا من بعد الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفسروا الاستواء بالاستيلاء نرجو الله -تبارك وتعالى- أن يعفو عن مجتهدهم، وأن يتجاوز عنهم، وليس علينا أن نَتَّبِعَهُمْ، بل ولا لنا أن نتبعهم فيما أخطؤوا فيه، ونسأل الله لهم العفو عما أخطؤوا فيه بعد بذل الاجتهاد، ونرجو الله أن يوفقنا للصواب وإن خالفناهم.

ولا يغرنك أيها الأخ المسلم ما تتوهمه من كثرة القائلين بهذا -أي: بأن استوى بمعنى استولى- فإنهم لا يمثلون شيئًا بالنسبة للإجماع السابق، فالصحابة كلهم مجمعون على أن: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي:

علا عليه، لم يرد عن واحدٍ منهم حرفٌ واحد أنه استولى عليه، فهم مجمعون على هذا، وكذلك الأئمة من بعدهم، أئمة المسلمين وزعماؤهم كالإمام أحمد وغيره، إن بينك وبين الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أزمنة وعلماء لا يحصيهم إلا الله -عز وجل-، فعليك بمذهب من سلف ودع عنك من خلف، فالخير كل الخير فيمن سلف وليس فيمن خلف.

أيها المسلم: إنني لم أطل عليك في هذين الأمرين: علو الله -عز وجل-، واستوائه على عرشه، والأمر الثالث معيته لخلقه، إلا لأن الأمر خطير، ولأنه قد ضلت فيه أفهام، وزلت فيه أقدام، فعليك بمذهب من سلف ودع عنك من أخطأ ممن خلف.

أسأل الله أن يوفقنا جميعًا للصواب، وأن يتوفانا على العقيدة السليمة الخالصة من كل شوب.

obeikandl.com

❁ سورة (المجادلة) ❁

(١٠١٣) يقول السائل ن. ع. ز: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]؟ وما معنى هذه الآية؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سبب هذه الآية أن امرأةً لأَوس بن الصامت -رضي الله عنه وعنها- ظاهر منها زوجها أوس، والظهار أن يقول الإنسان لزوجته: أنتِ علي كظهر أمي، وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية، فجاءت تشتكي إلى النبي ﷺ، فسمع الله تعالى شكواها، وأنزل حل قضيتها على نبيه ﷺ فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: تجادلك في شأنه تريد منك حلًّا له.

والسمع هنا من الله -عز وجل- سمعٌ حقيقي، سَمِعَ الله قولها وهو فوق سمواته على عرشه، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، والله إني لفي الحجرة، وإنه ليخفى عليّ بعض حديثها، والله -جل وعلا- فوق عرشه عالٍ على خلقه سمع قولها.

ثم بَيَّنَ الله -عز وجل- أن الله يسمع تحاورها مع النبي ﷺ، لأنه تعالى سميعٌ بصير قد وسع سمعه الأصوات، فما من صوتٍ خَفِيٍّ ولا بَيِّنٍ إلا وهو يسمعه -سبحانه وتعالى-، وما من شيء يُرى إلا وهو يراه -سبحانه وتعالى-، سواءٌ كان خفيًا أم بَيِّنًا.

ثم بَيَّنَ الله تعالى حكم هذه القضية -وهي الظهار- بأنها منكرٌ من القول وزور، فهي كذبٌ من أشد الكذب، إذ كيف تكون زوجتك التي أحل الله لك جماعها مثل أمك التي حرم الله عليك جماعها؟ فتحريم الأم -أي: تحريم جماعها- من أشد ما يكون إثمًا وتحريمًا، وتحليل الزوجة من أبلغ ما يكون حِلًّا وإباحة، فكيف يشبّه هذا بهذا؟ وهو قولٌ منكر لأنه محرم مضادٌ لحكم الله -عز وجل-، ولكن مع هذا فإن الله عفوٌ غفور، إذا طلب الإنسان من ربه العفو والمغفرة غفر له -سبحانه وتعالى-.

أما من جهة حكمه من جهة الزوجة: فإنه لا يجوز له -أي: لزوجها- أن يَمَسَّهَا حتى يفعل ما أمر الله به وهو أن يعتق رقبة، فإن لم يجد فإنه يصوم شهرين متتابعين قبل أن يمسها، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا قبل أن يمسها.

وفي هذه العقوبة الشديدة -بل في هذه الكفارة الشديدة- دليلٌ على عظم الظهار وتحريمه وكِبَرِه، وأنه يجب على المرء أن يُطَهِّرَ لسانه منه، وأن يتقي الله تعالى في نفسه فلا يظاهر من زوجته، لما فيه من المنكر والزور والإضرار بها وبزوجها والله المستعان.

***

(١٠١٤) يقول السائل أ. هـ. ع: لقد أمر الله -سبحانه وتعالى- بصلة الرحم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ولكن كيف تتفق هذه الآيات مع قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية؟ وبما أن الكفر والشرك محادة لله ولرسوله فكذلك قاطع الصلاة مثلًا، أو أصحاب الاعتقادات الفاسدة كالتوسل بالأولياء وغير ذلك، وكممارستهم للباطل في أفراحهم ومآتمهم فكيف نعاملهم؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا معارضة بين أمر الله تعالى بصلة الرحم وبين قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وذلك لأن الصلة لا يلزم منها الموادة، فالموادة معناها تبادل المودة، والمودة هي خالص المحبة، وعلى هذا فإنه من الممكن أن تصل هؤلاء الأقارب وأنت لا تحبهم، بل تكرههم على ما هم عليه من الباطل من الشرك فما دونه، ولهذا قال الله -عز وجل-: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا

فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥]، فأمر الله -سبحانه وتعالى- أن نصاحب الوالدين في الدنيا معروفًا وإن كانا كافرين مشركين، بل وإن كان قد بذلا جهدهما في أن يكون ابنهما مشركًا بالله -عز وجل-، أو في أن يكون ولدهما من ذكر أو أنثى مشركًا بالله -عز وجل-.

ومن الممكن عقلًا وشرعًا أن تصل شخصًا وقلبك يكرهه، تصله بما بينك وبينه من القرابة، أو من الجوار إذا كان جارًا لك، ولكنك تكرهه بقلبك على ما عنده من محادة الله ورسوله.

obeikandl.com

❁ سورة (الحشر) ❁

(١٠١٥) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآية ظاهر، وهو: أن الله حكم بالفلاح على من وَقَاهُ الله تعالى شُحَّ نفسه، أي: طمعها فيما ليس لها، أو طمعها بحيث تمنع ما يجب عليها، لأن الشح مداره على أمرين: إما طمع فيما ليس لك أو فيما ليس من حقك، وإما منع لما يجب عليك بذله.

فمن وقاه الله شح نفسه -بحيث لا يطمع فيما لا يستحق، ولا يمنع ما يجب عليه- فإن هذا من أسباب الفلاح، فمثلًا: إذا وقي الإنسان شح نفسه في الزكاة، وصار يخرج جميع ما يجب عليه منها، ويسره الله تعالى للبذل في الصدقات وما يقرب إلى الله -عز جل-، فهذا قد وقي شح نفسه في بذل ما يحبه الله -عز وجل-، وعدم منع ما يجب عليه.

ومن وقاه الله تعالى أخذ أموال الناس بالباطل من سرقة، أو خيانة، أو ما أشبه ذلك، فقد وقاه الله شح نفسه، فيكون وقاية شح النفس بأن يحمي الله -عز وجل- المرء من الطمع فيما لا يستحق، أو من منع ما يجب عليه بذله، فمن وقي ذلك كان من المفلحين، والفلاح كلمة جامعة لحصول المطلوب وزوال المكروه.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (الممتحنة) ❁

(١٠١٦) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية نزلت بعد صلح الحديبية، وكان من جملة الصلح الذي جرى بين النبي ﷺ وبين قريش أن من جاء من قريش مؤمنًا رده النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله هذه الآية استثناء من ذلك الصلح، لأنه إذا جاءت المرأة مؤمنة مهاجرة فإنها لا ترد إلى الكفار بعد أن تمتحن وتختبر ليتبين صدق هجرتها من زيفها ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ هذا بالنسبة للمتزوجات، فإنها لا تحل لزوجها بعد أن أسلمت وهو باقٍ على الكفر، لا تحل له لأن الكافرة لا تحل للمؤمن، والمؤمنة لا تحل للكافر إلا أنه يستثنى من الكافرة في حِلِّها للمؤمن إن كانت من أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله: ﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ﴾ أي: آتوا أزواجهن ما أنفقوا عليهن، لأنهن خرجن منهم بغير اختيار منهم فعوضوا بالنفقة.

ثم بين الله -عز وجل- أنه يحل للمؤمنين أن يتزوجوا هؤلاء النساء اللاتي خرجن مهاجرات من أزواجهن فقال: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾، والمراد بالأجور هنا الصداق، وسماه الله أجرًا لأنه عوض عن استمتاع الرجل بالمرأة، فكأنه عوض في الإجارة.

❁❁❁

❁ سورة (الصف) ❁

(١٠١٧) تقول السائلة ر: ما معنى هذه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ [الصف: ١٠-١١] هل يدخل في هذه الآية جهاد النفس الأمارة بالسوء، وجهاد الهوى والشيطان؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾، واعلم أن الله تعالى إذا صَدَّرَ الكلام بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فإنه ينبغي لك أن تستمع إلى هذا النداء الموجه من الله -عز وجل- إليك، لأنه إذا ناداك فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه، وإما خبر تنتفع به، ولهذا يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه.

وقوله: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ هذا استفهام بمعنى التشويق، يعني: أن الله تعالى يشوقنا إلى هذه التجارة وهي التجارة الرابحة تجارة الآخرة: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾ والمراد بالجهاد في سبيل الله هنا هو جهاد الأعداء، أي: بذل الجهد في قتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأما جهاد النفس فهو داخل في قوله: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ إذ إن من كمال الإيمان وتحقيق الإيمان أن يجاهد الإنسان نفسه عن فعل المعاصي وعلى فعل الواجبات.

❁❁❁

❁ سورة (المنافقون) ❁

(١٠١٨) يقول السائل: ما هو الاسم الكامل لرأس المنافقين الذي قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]؟ وما اسم الابن الذي منعه من دخول المدينة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الذي قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ هو عبد الله بن أُبيٍّ رأس المنافقين.

وأما الذي منعه من دخول المدينة حتى يقول: إنه الأذل ورسول الله ﷺ الأعز، هو ابنه عبد الله ﷺ، وهذا يدل على حكمة الله -عز وجل- في خلقه حيث يُخْرِجُ من الخبيث الطيبَ، كما يُخْرِجُ من الطيب الخبيثَ، فها هو نوح -عليه الصلاة والسلام- كان أحد أبنائه كافرًا، وهذا المنافق عبد الله بن أبي كان ابنه مؤمنًا، فالله -عز وجل- يُخْرِجُ الحي من الميت ويُخْرِجُ الميت من الحي، ويُخْرِجُ المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والعالم من الجاهل والجاهل من العالم.

كل هذا يدلنا دلالة واضحة على أن المدبر لهذا الكون هو الله -عز وجل- بحكمته، وليس مجرد طبيعة تتفاعل وتنظم نفسها، بل لها خالق مدبر ذو سلطان عظيم، بيده ملكوت السموات والأرض.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (التغابن) ❁

(١٠١٩) يقول السائل: من سور القرآن الكريم سورة التغابن، فما معنى «التغابن»؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: التَّغَابُنُ هو الغلبة بالغُبْن، وقد ذكر الله -عز وجل- في هذه السورة أن يوم التغابن حقيقة هو يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] التغابن الحقيقي هو التغابن في الآخرة، حيث يكون فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير، أما التغابن في الدنيا فليس بشيء بالنسبة للتغابن في الآخرة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (التحريم) ❁

(١٠٢٠) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم: ١]؟ ما هو المقصود بذلك؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المقصود بهذا أن النبي ﷺ حرم على نفسه أكل العسل وقال: «**لا آكل العسل**»[(١)]، فبَيَّنَ الله له -سبحانه وتعالى- أنه لا ينبغي أن يحرم ما أحل الله له من أجل طلب مرضاة زوجاته، ولكنه -سبحانه وتعالى- بيّن له ما يزول به هذا التحريم، فقال: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

وبناء عليه فلو حرم الإنسان شيئًا مما أحل الله له فإنه يُنهى عن هذا، ولكنه إذا فعل فإن لهذا الفعل حلًّا، وهو أن يُكَفِّر كفارة يمين ثم يعود إلى ما حرمه على نفسه.

مثال ذلك لو قال: حرام علي أن أدخل بيت فلان، ثم أراد أن يدخله نقول: ادخل البيت وكَفِّر كفارة يمين، لأن الله قال: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾، وكذلك لو قال: حرام علي أن أكلم فلانًا، نقول: كلمه وكَفِّر كفارة يمين، فكل شيء أحله الله إذا حرمه الإنسان فإن له حكم اليمين، يكفر كفارة اليمين ثم يفعله.

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١]، رقم (٥٢٦٧)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ولم ينو الطلاق، رقم (١٤٧٤).

obeikandl.com

❁ سورة (الملك) ❁

(١٠٢١) يقول السائل خ. م. ن. ب: ما هو الأفضل في الدعاء الإسرار به أم الجهر؟ وهل هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الملك: ١٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: إذا كان الإنسان يدعو لنفسه ولغيره فإنه يجهر بالدعاء، كدعاء الإمام في القنوت فإنه يجهر به، لأنه يدعو لنفسه ولغيره، وكذلك يأتي به بصيغة الجمع، فيقول مثلًا: اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، ولا يقول: اللهم اهدني فيمن هديت، لأنه إذا خص نفسه بالدعاء وهم يستمعون ويؤمنون فإن هذا من الخيانة، ذلك لأن الدعاء إذا كان لنفسك ولغيرك دعاء مشترك، فتخصيص نفسك به نوع من الخيانة.

فعلى هذا نقول: إذا كان الدعاء مما هو مشترك للداعي ولغيره فإنه يجهر به، ولكن الدعاء المشترك الذي هو للداعي ولغيره موقوف على ما ورد به الشرع، فلا يجوز إحداث أدعية جماعية بدون ورود الشرع بها، لأن إحداث مثل هذه الأمور من البدع التي ينهى عنها.

أما إذا كان الإنسان يدعو لنفسه فهذا محل تفصيل: إن كان في صلاة الجماعة فإنه لا يجهر به، لأن ذلك يشوش على من حوله، ولهذا تجد بعض المأمومين يجهرون بما يدعون الله به إما بين السجدتين، أو في السجود، أو في التشهد، وهذا لا ينبغي منهم، فقد خرج النبي -عليه الصلاة والسلام- على أصحابه يومًا وهم يُصَلُّون ويَجْهرون بالقرآن، فنهاهم أن يجهر بعضهم على بعض.

أما إذا كان الإنسان يدعو لنفسه وليس حوله أحد فإنه ينظر ما هو أصلح لقلبه: إن كان الأصلح أن يُسِرَّ أسرَّ، وإن كان أصلح أن يجهر جهر، لكن في حال جهره لا ينبغي أن يشق على نفسه، فإن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لأصحابه -وقد رفعوا أصواتهم بالذكر-: «**أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، وإنما تدعون سميعًا قريبًا وهو**

معكم، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1]. والله -سبحانه وتعالى- قريب مجيب، وهو -سبحانه وتعالى- فوق عرشه على جميع خلقه.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٢) واللفظ له، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤).

obeikandl.com

❁ سورة (الجن) ❁

(١٠٢٢) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]؟ فما هي هذه الطريقة؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ يعني: وأنهم لو استقاموا على الطريقة -وهي صراط الله المستقيم الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لو أن الخلق استقاموا عليها- لأسقاهم الله ماءً غدقًا، أي: ماءً كثيرًا تنبت به الزروع، ثم تُدِرُّ بهذه الزروع الضروع، وتحصل الخيرات والبركات، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٩]، فلو استقام الناس على الطريقة التي شرعها الله لهم على ألسنة رسله -عليهم الصلاة والسلام- لحصلت لهم الخيرات والبركات من السماء والأرض.

❁❁❁

❁ سورة (المدثر) ❁

(١٠٢٣) تقول السائلة أ. ح: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨-٣٩] من سورة المدثر. ما المقصود في الآية بأصحاب اليمين؟ ولماذا لا يُرْتَهَنُونَ بذنوبهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كل نفسٍ بما كسبت رهينة أي: مرهونة محبوسة على ما كسبت.

أما قوله: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإلا هنا ليست استثناءً، بل هي بمعنى لكن، فهو استثناءٌ منقطع، فالمعنى: كل نفسٍ بما كسبت رهينة أصحاب اليمين وغير أصحاب اليمين، ثم قال: لكن أصحاب اليمين ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٤٠-٤١]، فإلا هنا بمعنى لكن، لأن الاستثناء منقطع.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (القيامة) ❁

(١٠٢٤) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه جملة قسم معطوفة على جملة سابقة فيها قسم أيضًا وهي قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ١-٢] ومعنى الآية: أن الله تعالى يقسم بالنفس اللوامة، وهي النفس التي تلوم الإنسان على فعل الخير، وهذه هي النفس الأمارة بالسوء، أو تلوم الإنسان على فعل الشر، وهي النفس المطمئنة، وذلك أن للإنسان نفسين: نفسًا أمارة بالسوء ونفسًا مطمئنة، فالنفس المطمئنة تأمره بالخير وتنهاه عن الشر، والنفس الأمارة بالسوء تأمره بالسوء وتُلِحُّ عليه، والنفس اللوامة جامعة بين هذا وهذا، وصف للنفسين جميعًا، فالنفس المطمئنة تلوم الإنسان على ترك الخير وفعل الشر، والنفس الأمارة بالسوء تلومه على فعل الخير وعلى ترك الشر، فاللوم وصف للنفسين جميعًا، فيقسم الله بالنفس اللوامة، لأن النفس اللوامة هي التي تحرك الإنسان وتغير اتجاهاته إلى خير أو شر.

***

(١٠٢٥) يقول السائل: ما معنى الآية الكريمة في سورة القيامة: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣-٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى الآيتين أن الله تعالى يُنكِرُ على من يظن أن الله لا يجمع عظامه ولا يعيده يوم القيامة، ويقول -عز وجل-: ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي: نحن قادرون على ذلك، قادرون على أن نسوي بنانه -أي: أطراف أصابعه- أن نسويها أي: أن نعيدها كما كانت سوية، مع أن الرجل قد يكون أكلته الأرض وذهب كل جسده، ولكن الله تعالى قادر على أن يخلق حتى بَنَانه الذي هو أطراف أصابعه، يخلقه الله تعالى سَوِيًّا كما كان، وهذا أيضًا ليس بالأمر الصعب على الله -عز وجل-، وليس بالأمر الذي يتأخر، قال الله

-تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

***

(١٠٢٦) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الآية ذكرها الله تعالى جوابًا على قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣]، وذلك عند البعث، فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة، فبين الله تعالى أن هذا الظن باطل، وأنه -سبحانه وتعالى- قادر على أن يخلقه على أتم خلق بحيث يخلقه تامًا، حتى بنانه يكون مستويًا تامًا ليس فيه نقص، والبنان هي الأصابع، كما يقال: يشار إلى فلان بالبَنَانِ، أي: بالأصابع، فهذه الأصابع أدنى جزء من أعضاء البدن، وإذا كان الله تعالى قادرًا على أن يسويها فما فوقها من باب أولى.

✿✿✿

obeikandl.com

❁ سورة (الإنسان) ❁

(١٠٢٧) يقول السائل: ما معنى الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، والآية الأخرى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ١-٣] أي: بَيَّنَّا له السبيل ووضحناها له، سواء كان شاكرًا أم كفورًا، فبَيَّنَ الله السبيل ثم انقسم الناس إلى شاكر وكفور، ثم بين الله في هذه السورة جزاء الكافرين وجزاء الشاكرين.

أما قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ فقيل: إن معناه: بَيَّنَّا له طريقي الخير والشر، فيكون كهذه الآية أو قريبًا منها.

وقيل: معنى ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: هديناه إلى ثَدْيي أمه، لأن الصبي من حين ما يخرج من بطن أمه ثم يُلْقَمُ الثدي يعرف أنه ثدي فيمصه، من قال له هذا؟ أقالته أمه؟ لو قالته ما فهم، لكن هذا من الله -عز وجل-، هداه -سبحانه وتعالى- بفطرة هذا الصبي أن يعرف أن هذين العضوين في الأم فيهما غذاؤه فيمص.

والآية إذا كانت صالحة للقولين فهي لهما جميعًا، لأننا نحب أن نقول لإخواننا المستمعين: إن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر، ولا منافاة بينهما، فإنه يجب أن تحمل عليهما جميعًا، لأن الذي يتكلم بها وهو الله -عز وجل- عالم بما تحتويه من المعاني.

❁❁❁

❁ سورة (التكوير) ❁

(١٠٢٨) يقول السائل: أرجو تفسير الآية من سورة التكوير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]. **والآية الأخرى:** ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أما الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، فإن الله -سبحانه وتعالى- يذكر الأحوال يوم القيامة، وأن من جملة الأحوال أن العشار -وهي الإبل الحوامل- تُعَطَّلُ ولا يلتفت إليها، وذلك لأن كل امرئٍ له شأنٌ يغنيه عن غيره، حتى إن الإنسان ليفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فلا يهتم بأَنْفَس الأموال عند العرب وهي العشار.

وأما الآية الثانية: فإن الموءودة فهي الفتاة التي تدفن وهي حية، وكان من العرب في الجاهلية من يدفن البنات خوفًا من العار، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]، هذه الموءودة إذا كان يوم القيامة فإنها تسأل بأي ذنبٍ قُتِلَتْ، ومن المعلوم أنه لا ذنب لها، ولكنها تسأل توبيخًا وتقريعًا لمن وأدها، وهذا كما تقول للشخص المظلوم أمام ظالمه: بأي شيءٍ اعتدى عليك؟ بأي شيءٍ أخذ مالك؟ وما أشبه ذلك مما يكون فيه تقريعٌ وتوبيخٌ للفاعل، وتبرئةٌ للمفعول به.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (المطففين) ❁

(١٠٢٩) يقول السائل: ما غرض الاستفهام في الآيتين: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾ [المطففين: ٨]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا من باب تفخيم الأمر وتعظيمه.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (البروج) ❁

(١٠٣٠) يقول السائل: فضيلة الشيخ في سورة البروج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، **السؤال يا فضيلة الشيخ: كيف يكون الافتتان بين المؤمنين والمؤمنات؟ أرجو إفادة.**

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ معناه: إن الذين صدوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، إما بإيراد الشُّبَهِ وإما بالقوة، ثم لم يتوبوا من ذلك فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق.

ومن الفتنة -أي: فتنة المؤمنين في دينهم- أن يُهَوِّنَ عليهم المعصية فيقول: هذا أمر هين، هذا جرى عليه الناس، هذا يفعله الناس، افعل هذا واستغفر الله، وما أشبه ذلك من الأمور التي تهون المعصية على المؤمنين، فيكون بذلك فاتنًا لهم عن دينهم. فكل عمل قَوْلِيٍّ أو فِعْلِيٍّ يقتضي صد الناس عن دينهم وتهوين الدين عليهم فإنه من الفتنة، فيكون داخلًا في هذه الآية، ولكن لا شك أن الفتنة التي تؤدي إلى الكفر أعظم من الفتنة التي تؤدي إلى فعل كبيرة من الكبائر، وأن الفتنة التي تؤدي إلى كبيرة من الكبائر أعظم من الفتنة التي تؤدي إلى فعل صغيرة من الصغائر، وكل شيء له درجته ومنزلته.

❁❁❁

obeikandl.com

❁ سورة (الأعلى) ❁

(١٠٣١) يقول السائل: ما المقصود بالآية الكريمة: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: المقصود منها ما هو معلومٌ من ظاهرها أن الله تعالى وعد نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يقرئه القرآن ولا ينساه، والمراد: لا تنسى نِسْيانًا دائمًا، وإلا فقد وقع منه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- النسيان في بعض الآيات التي يقرؤها، ولكنه ﷺ يتذكرها إما بسماعها من أحد، وإما بتنبيهه إياه بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

***

(١٠٣٢) يقول السائل: قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، ما المراد بالذكر هنا أهو التهليل أم غيره؟ أرشدوني والمسلمين أعد الله لكم أجرًا عظيمًا.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: من تطهر من الشرك فما دونه من الذنوب، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، هذا يشمل كل ذكر لله -عز وجل-، والصلاة معروفة.

وقد ذهب بعض أهل العلم من المفسرين إلى أن المراد بذكر الله هنا خطبة الجمعة، والصلاة صلاة الجمعة، قالوا: لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

والصواب أن الآية عامة لكل من ذكر اسم الله تعالى ثم صلى، سواء في الجمعة أو في غيرها.

وذِكْرُ اسم الله تعالى يكون بقول: لا إله إلا الله، وقول: سبحان الله، والحمد لله، بل وبفعل العبادات أيضًا، لأن العبادات في الحقيقة ذكر لله -عز وجل-.

يقول السائل: فضيلة الشيخ: هناك من يُقَيِّدُ هذه الآية برمضان والعيد؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: يروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يجعلها دالة على زكاة الفطر، لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، ولكن هذا ليس بتقييد للآية، بل هو من جملة ما تَدُلُّ عليه.

obeikandl.com

❁ سورة (الفجر) ❁

(١٠٣٣) يقول السائل ف. ع: ما معنى الآيات الكريمات في سورة الفجر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ١-٥].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه الأشياء التي أقسم الله تعالى بها من آيات الله -عز وجل- الدالة على كمال قدرته وعظمته، فالفجر الساطع الْمُنْفَلِقُ بعد الظلمة الدَّامِسَةِ من آيات الله -عز وجل-، لأنه لا يقدر أحد أن يأتي بالشمس التي هذا مقدم ضوئها إلا الله -عز وجل-، وفي الفجر من آيات الله تغير الأفق، وانفتاح النور على الناس، وفتح باب معايشهم، وغير ذلك من الأمور التي يخفى علينا كثير منها، لكنه من آيات الله العظيمة.

أما الليالي العشر: فإنها إما الليالي العشر من رمضان التي فيها ليلة القدر، وليلة القدر خير من ألف شهر، وفي كل ليلة من الليالي العشر وغيرها أيضًا ينزل الله -عز وجل- حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا، على وجه لا يعلم كيفيته إلا هو -سبحانه وتعالى-، فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[(١)].

وإما أن تكون الليالي العشر عشر ذي الحجة التي قال فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**»[(٢)]، فإن العمل الصالح في عشر ذي الحجة أفضل من العمل الصالح في أيام عشر رمضان بهذا الحديث.

وإنني بهذه المناسبة أود أن أذكر إخواني المسلمين باغتنام الفرصة في هذه الأيام العشرة، فإن أكثر المسلمين في غفلة عن فضلها وفضل العمل فيها، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم (٩٦٩).

تَمُرُّ عليهم وكأنها أيام عادية لا تختص بفضل، فينبغي في عشر ذي الحجة كثرة الطاعة، والعمل الصالح بالصلاة والصدقة والصيام، وغير ذلك مما يُقَرِّب إلى الله تعالى.

وأما الشفع والوتر فقيل: إنه إقسام بالمخلوق والخالق، فالشفع المخلوق والوتر الله -عز وجل-، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله وتر يحب الوتر**»[1] وأما الشفع فهو المخلوق، لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وأما قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ فهو إقسام بالليل عند سريانه وشيوع ظلمته، وهو أيضًا من آيات الله، وهو مقابل الإقسام بالفجر، فإن الليل ظلمة، يسكن فيه الناس، ويُجددون نشاطهم بالنوم الذي جعله الله تعالى سباتًا، ليقطعوا التعب السابق، وليُجَددوا القوة للعمل اللاحق.

فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء وقال بعدها: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾، وهذا الاستفهام للتقرير، أي: إن هذا قسم عظيم يعرفه كل ذي حِجْر، والْحِجْرُ هنا بمعنى العقل، كل عاقل يتدبر ما في هذه الأشياء التي أقسم الله بها يتبين له عظمة هذا القسم.

وأما المقسم عليه فقد اختلف فيه النحويون، وليس هذا موضع بسطه.

أحب أن أنبه على فائدة مهمة لطالب العلم، وهي: أن الله تعالى -عز وجل- أحيانًا يقسم بأشياء دالة على عظمته وقدرته، ليُبَيِّنَ بهذا القسم عظمة هذه الأشياء، وأنها من آيات الله -سبحانه وتعالى- العظيمة، وإن لم يكن هناك شيء مقسم عليه، ومن ذلك مثلًا قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ١-٣]، فإن بعض

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد، رقم (٦٤١٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم (٢٦٧٧).

النحويين يقول: إن في المقسم به دليلًا على المقسم عليه، فلا يحتاج إلى مقسم عليه.

ومن أراد التوسع في هذا فعليه بقراءة كتاب (التبيان بأقسام القرآن) لشمس الدين بن قيم الجوزية، أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهم الله-.

obeikandl.com

❁ سورة (القدر) ❁

(١٠٣٤) يقول السائل ف. ف. ع: في الآية الكريمة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] لا أفهم كيف تكون ليلة القدر خيرًا من ألف شهر، أرجو توضيح هذا المعنى؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: توضيح قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أن الله -سبحانه وتعالى- بفضله وكرمه جعل هذه الليلة في فضلها وكثرة ثواب العمل فيها خيرًا من ألف شهر، بمعنى: أن الإنسان لو عمل عملًا صالحًا ألف شهر ليس فيه ليلة القدر كانت ليلة القدر خيرًا منه، لما فيها من الثواب العظيم الجليل والخير والبركات.

❁❁❁

obeikandl.com

۞ سورة (الزلزلة) ۞

(١٠٣٥) **يقول السائل**: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معناه أن الله تعالى يُذَكِّرُ عباده بيوم القيامة الذي تزلزل فيه الأرض زلزالها، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

وأما إخراج الأرض أثقالها: فإن الله تعالى يبعث من في القبور، فيخرج الناس من قبورهم على ظهر الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ يعني: أي شيء حدث؟ وذلك من شدة الفزع والأهوال، وفي ذلك اليوم يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤-٥] فتشهد بما عمل عليها من خير أو شر، فهذه الآيات تصور مشهدًا من مشاهد يوم القيامة.

۞۞۞

Orbeikanal.com

❁ سورة (التكاثر) ❁

(١٠٣٦) يقول السائل ط. ح. د: أرجو أن تفسروا الآية الكريمة في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا: أشكر أخي السائل الذي سأل عن معنى الآية الكريمة، وذلك لسروري بتفكر الناس في معاني القرآن الكريم وطلبهم تفسيرها، لأن هذا يدل على العناية بكلام الله -عز وجل-.

ثانيًا: معنى قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أنه -عز وجل- يخاطب الناس ويبين لهم أن التكاثر بينهم في الأموال والأولاد ألهاهم عن طاعة الله، وشغلهم عن ذكره حتى ماتوا، وهذا معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى متم.

وسمى الله -تبارك وتعالى- الدفن -أي: دفن الميت- زيارة، لأنه لا بد من بعثه، ولهذا لما سمع أعرابيٌّ قارئًا يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ قال: والله إن وراء ذلك شيئًا آخر، أو كلمة نحوها، فإن الزائر -يقول الأعرابي- ليس بمقيم. وصدق، فإن وراء ذلك البعث، والزائر على اسمه زائر ليس بمقيم، وبقاء الناس في القبور وإن طالت المدة هو شيء يسير بالنسبة إلى الآخرة.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على كلمةٍ يقولها بعض الناس غافلًا عن مدلولها، وهي أنه إذا مات الإنسان قالوا: انتقل إلى مثواه الأخير. وهذه الكلمة في معناها الظاهر من لفظها كلمةٌ خطيرة، لأن مضمونها ومدلولها أنه لا بعث، وأن القبر هو المثوى الأخير، ومن المعلوم أن هناك بعثًا، وأن المثوى الأخير هو إما الجنة وإما النار، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة، فلا يحل للإنسان أن يقول في الميت إذا دفن: إنه رجع إلى مثواه الأخير. قد يقول قائل: إن هذا مثواه الأخير بالنسبة للدنيا، فإن الإنسان مهما طالت مدته في الدنيا فإن مآله إلى القبر. نقول: نعم هذا هو مراد الناس فيما يظهر، لاسيما المسلمين منهم، فإن كل

مسلم يؤمن باليوم الآخر، لكن ما دام اللفظ يحتمل معنىً فاسدًا هو ظاهر اللفظ أيضًا فإنه يجب اجتنابه.

obeikandl.com

❁ سورة (العصر) ❁

(١٠٣٧) يقول السائل: ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تفسيرها أن الله -عز وجل- يقسم بالعصر الذي هو الدهر، لأن الدهر زمن الحوادث والوقائع المختلفة، ومن ثم أقسم الله به، أقسم على أن الإنسان في خسر، والإنسان هنا يراد به الجنس، فكل إنسان فإنه في خُسْرٍ، لا يستفيد من حياته شيئًا ولا من عصره شيئًا، إلا من جَمَعُوا هذه الأوصاف الأربعة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

الوصف الأول: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ أي: صدقوا بما يجب التصديق به مع القبول والإِذْعَانِ، فالإيمان الشرعي ليس هو مجرد تصديق، بل هو تصديق خاص مستلزم للقبول والإذعان.

الوصف الثاني: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: عملوا الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة ما اجتمع فيها شرطان: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فإن اختل أحد الشرطين لم تكن من الأعمال الصالحة، لو أن الإنسان عمل عملًا موافقًا للسنة تمامًا في ظاهره، لكنه لم ينوِ بذلك وجه الله، بل عمل ذلك رياء وسمعة، فإن عمله لا يقبل ولا يسمى صالحًا، ففي الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[1] ومن أخلص لله -عز وجل- ولم يبتغ سوى وجه الله، لكنه لم يتبع النبي ﷺ، وعدم اتباع النبي ﷺ يكون بأمرين: إما بعدم فعل ما يشرع فعله مما يكون

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

فَوَاته مُبْطلًا للعبادة، وإما بابتداع شيء في دين الله لم يشرعه النبي ﷺ، مثال الأول: لو أن رجلًا صلى الظهر، ولكنه تعمد ترك التشهد الأول، فإننا نقول: إن هذا العمل باطل، لأنه لم يتبع فيه النبي ﷺ، حيث ترك التشهد الأول عن عمد. وكذلك لو صلى الظهر وترك سجدة من السجدات، أو ركوعًا من الركوعات، فإنه لا يكون عمله صحيحًا، لأنه لم يكن متابعًا للنبي ﷺ في ذلك.

ولو ابتدع في دين الله ما ليس منه، كما لو أحدث تسبيحات، أو تهليلات، أو تكبيرات أو تحميدات على وجه معين لم تأت به الشريعة، أو أحدث صلوات على النبي ﷺ على وجه معين لم تأت به الشريعة، كان عمله غيرَ صالح ولا مقبول، لأنه لم يتبع النبي ﷺ في عمله.

والعبادة لا تتحقق فيها المتابعة إلا إذا كانت موافقة للشرع في سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها ومكانها، فإن اجتمعت في العبادة هذه الأوصاف، أو إذا تحققت الموافقة للشريعة في هذه الأمور الستة، تحققت المتابعة، وإن اختل واحد منها لم تتحقق المتابعة.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: عملوا الأعمال الصالحة التي تحقق فيها شرطان، وهما: الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ.

الوصف الثالث: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: صار بعضهم يوصي بعضًا بالحق، والحق هو ضد الباطل، فكل ما خالف الشرع فهو باطل، وكل ما وافق الشرع فهو حق، والحق هنا يشمل التواصي بفعل المعروف، والتواصي بترك المنكر، أي: إن الحق فعل المعروف وترك المنكر، فيتواصون بفعل المعروف وبترك المنكرات.

الوصف الرابع: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ الصبر هو حبس النفس وتحميلها، وهو أن كل إنسان يعمل أو يدعو إلى الله -عز وجل- فلا بد أن يواجه شيئًا قد يُثْنِي عَزْمَه فليصبر، فهم يتواصون بالصبر، يوصي بعضهم على أن يصبر على الإيمان، وعلى العمل الصالح، والتواصي بالحق.

وقد أمر الله تعالى عباده بالصبر في عدة مواضع من القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكر أهل العلم أن الصبر ينقسم ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وأعلاها الأول ثم الثاني ثم الثالث.

فالصبر على طاعة الله هو حبس النفس على قبول أمر الله ورسوله، وعلى تنفيذ أمر الله ورسوله، وفيه أمران، وهما: حبس النفس على قبول ذلك، ثم تنفيذه.

أما الصبر عن معصية الله فهو حبس النفس عن فعل المعصية، وليس فيه إلا شيء واحد، وهو حبس النفس عن المعصية، ولهذا كان الأول أكمل منه.

أما الثالث فهو الصبر على أقدار الله المؤلمة، فإن الإنسان في هذه الدنيا بين الضراء والسراء، وبين الخوف والأمن، وبين الضِّيقِ والسَّعَةِ، وبين الفقر والغنى، وبين الصحة والمرض، فيحتاج إلى صبر على ذلك، و هذا الصبر هو أقل الأنواع شأنًا، لأن هذا الصبر لا يفعل الإنسان فيه المصبور عليه باختياره، وإنما يقع عليه بغير إرادته، فهو كما قال بعض السلف: إما أن يصبر صبر الكرام، وإما أن يَسْلوَ سلْو البهائم، بخلاف القسمين الأولين، فإن فيهما نوعًا من الاختيار، إذ إن الإنسان لو شاء لكفَّ عن الشيء ولو شاء لم يكف، ولو شاء لفعل الشيء ولو شاء لم يفعله، بخلاف أقدار الله -عز وجل-، فإنها تأتي للإنسان وتصيبه بغير اختياره، ولهذا كان هذا النوع أقل شأنًا، أو كان هذا القسم أقل شأنًا من القسمين السابقين.

❁ سورة (الماعون) ❁

(١٠٣٨) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ويلٌ هذه كلمة وعيد وتهديد، والمصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون هم الذين يُصَلُّون ولكن لا يُبَالُون بصلاتهم، يغفلون عنها فيؤخرونها عن وقتها، ولا يأتون بواجباتها وأركانها وشروطها، فهم يصلون ولكنهم ساهون عن صلاتهم، لا يقيمونها على الوجه المطلوب منهم.

وأما ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فهم الذين يراءون الناس في عبادة الله، يتعبدون لله أمام الناس، ليراهم الناس ويمدحوهم على عبادتهم لله -عز وجل-.

وأما الذين يمنعون الماعون فهم الذين يمنعون الأواني وشبهها مما يستعيره الناس في العادة والإنسان مستغنٍ عنه، فتجده لِبُخْلِهِ يمنع حتى إعارة الماعون، فوصف الله هؤلاء بأنهم غافلون عن صلاتهم، مراؤون في عباداتهم، بخلاء في أموالهم.

***

(١٠٣٩) يقول السائل ع. أ. ع: ما تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: تفسيرها أن الله -عز وجل- تَوَعَّد المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، أي: غافلون عنها لا يؤدونها على الوجه المطلوب منهم، فيُضَيِّعُون أوقاتها ويُضَيِّعُون واجباتها، ويدعون صلاة الجماعة مع وجوبها عليهم، إلى غير ذلك مما يوجب غفلتهم عن صلاتهم. وإذا كان هذا الوعيد على من صلى مع سهوه عن صلاته، فكيف بمن لم يصلِّ أصلًا؟ فإنه

أعظم وأشد، وقد بينا في غير مرة أن من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا فإنه يكون كافرًا كفرًا مخرجًا عن الملة.

obeikandl.com

❁ سورة (الكوثر) ❁

(١٠٤٠) يقول السائل م. ن: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معنى هذه السورة العظيمة أن الله تعالى يخبر بما امْتَنَّ به على نبيه محمدٍ ﷺ، حيث أعطاه هذا الكوثر، وهو الخير الكثير العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، ومنه الكوثر الذي في الجنة، وهو نهرٌ أعطيه النبي ﷺ، ويصب منه ميزابان في حوضه ﷺ، الحوض المورود يوم القيامة الذي يرده المؤمنون من أمته -صلوات الله وسلامه عليه-.

ثم إن الله تعالى لما ذكر ما امتن به عليه من هذا الخير الكثير أمره أن يصلي وينحر له فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، فالصلاة هي الصلاة المعروفة، وهي التعبد لله تعالى بالأفعال، والأقوال المعلومة، الْمُفْتَتَحَةُ بالتكبير المختتمة بالتسليم.

والنحر هو: التقرب إلى الله تعالى بذبح الهدايا، والضحايا، وما يشرع من الذبائح، فالجمع بين الصلاة والنحر يكون جمعًا بين عبادةٍ بدنية وعبادةٍ مالية.

وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: إن مُبْغِضَكَ الذي يبغضك هو الأبتر المقطوع الذي لا خير فيه ولا بركة، وهذا كما يشمل من أبغض رسول الله ﷺ شخصيًّا فإنه يدخل فيه أيضًا من أبغض سنته وهديه، فإن من أبغض سنته وهديه لا شك أنه مبتورٌ مقطوع، وأن الخير كل الخير في اتباع هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- ومحبته وتعظيمه بما هو أهلٌ له -صلوات الله وسلامه عليه-.

***

obeikandl.com

(١٠٤١) يقول السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] في سورة الكوثر؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: معناها أن الله أمر نبيه ﷺ -حين ذكر مِنَّتَهُ عليه بإعطائه الكوثر، وهو نهر عظيم في الجنة يصب منه ميزابان في الحوض المورود لرسول ﷺ في القيامة، لما ذكر الله منته عليه بهذا الكوثر، أمره - أن يصلي لربه وينحر.

والصلاة معروفة، هي التعبد لله تعالى بتلك الأقوال والأفعال، الْمُفْتَتَحَةُ بالتكبير المختتمة بالتسليم.

وأما النحر فهو الذبح لله -عز وجل- كالأضاحي والهدي والعقيقة، هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

obeikandl.com

❁ سورة (الإخلاص) ❁

(١٠٤٢) يقول السائل م. ط. م. أ: لماذا سميت سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] بسورة الإخلاص؟ وما وجه دلالتها واشتمالها على أنواع التوحيد الثلاثة؟ أرجو توضيح ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: سورة الإخلاص هي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وسميت سورة الإخلاص لأمرين:

الأمر الأول: أن الله أخلصها لنفسه، فليس فيها إلا الكلام عن الله -سبحانه وتعالى- وصفاته.

والثاني: أنها تُخَلِّصُ قائلها من الشرك إذا قرأها معتقدًا ما دلت عليه.

ووجه كونها مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات: أما توحيد الألوهية ففي قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ فـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ يعني: هو الإله المعبود حقًا الذي لا يستحق أن يعبد أحد سواه، فهذا هو توحيد الألوهية.

وأما توحيد الربوبية والأسماء والصفات ففي قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فإن قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ معناه: الكامل في صفاته الذي تَصْمِدُ إليه جميع مخلوقاته، فكماله في الصفات هو ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، وافتقار مخلوقاته كلها إليه وصمودها إليه يدل على أنه هو الرب الذي يقصد لدفع الشدائد والمكروهات، وحصول المطالب والحاجات.

وفي قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ توحيد في الأمور الثلاثة، لأنه وحده -سبحانه وتعالى- هو المتصف بذلك: الألوهية والصمدية -سبحانه وتعالى-.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ رد على النصارى الذين قالوا: إن المسيح ابن الله، وعلى اليهود الذين قالوا: إن عزيرًا ابن الله، وعلى المشركين الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، وهو -سبحانه وتعالى- لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وإنما قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ لكمال صفاته، لا أحد يكافئه، أو يماثله، أو يساويه.

obeikandl.com

❁ سورة (الفلق) ❁

(١٠٤٣) يقول السائل ح. ع. س: كثيرًا ما نقرأ سورة الفلق، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٣]، ما معنى هذه الآية؟ وما معنى قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]؟ ولماذا نسب النَّفْثَ إلى النساء؟ هل هو فعل خاص بهن، أم يفعله الرجال والنساء؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم الغاسق إذا وقب هو الليل، كما قال الله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وإنما أمر بالاستعاذة منه لأن الْهَوَامَّ والسِّبَاعَ وغيرها تنتشر في الليل أكثر من انتشارها في النهار، فلذلك استعاذ الإنسان بربه من هذا الغاسق إذا وَقَبَ، أي: إذا دخل.

وأما النَّفَّاثَاتُ في العقد فهن النساء اللاتي ينفُثْنَ في الْعُقَدِ سحرًا يَسْحرن به الناس، وخصت النساء بذلك لأنه في الغالب يقع منهن، وإلا فالرجال مثلهن، ولكن الخطاب قد يخص أحيانًا بمن يغلب وقوعه منه، وليس معنى ذلك أنه لا يتعدى إلى غيره ممن يشاركه في العلة.

❁❁❁

obeikandl.com